الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر – باتنة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها

النص المسرحي والإصلاح الاجتماعي في الجزائر حتى سنة 1954

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث

إعداد الطالبة: زنودة فريدة
إشراف: د.صالح لمباركية

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
د.معمر حجيج	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر - باتنة	رئيسا
د.صالح لمباركية	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر - باتنة	مشرفا ومقررا
د.أمحمد عزوي	أستاذ محاضر	جامعة فرحات عباس - سطيف	عضوا مناقشا
محمد زغينة	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر - باتنة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1428/ 1429 هـ - 2008/2007 م

O

مقدمـة

يعد المسرح فنا من الفنون الراقية و المهتمون به سعوا جادين في تطوره و البلوغ به إلى أسمى المراتب، و نظرتنا للمسرح بشكل عام كانت قاصرة على أنه فن أوربي النشأة والتطور، ولم يكن عربيا و لكن بقراءتنا و إطلاعنا على كتابات المسرحيين العرب لمسنا جهودا جبارة لإثبات أن للعرب مسرحا، و مسرحا خاصـا بهم.

إن للمسرح دور كبير في نشر الوعي بين أفراد الشعب ، فهو الوسيلة الأيسر للوصـول إلى عقـول المشاهدين و قلوبهم ، و قد إستعمله الكتاب المسرحيون بذكاء إبان الإحتلال الفرنـسي في الجزائـر وتهيئـة الأجواء للثورة المسلحة ، و حاولوا إيجاد الحلول لمشكلاتهم ، بأسلوب بسيط يتماشى و ذوق العام و الخاص. و قد لقيت العروض المسرحية كثيرا من النجاح لأنها عبرت بصدق عن الواقع الجزائري.

حاول النظام الاستعماري في الجزائر قطع الصلة بين الجزائريين وتاريخهم الحاضر والتليـد ، حيـث كانت محاولاته طمس التاريخ العربي الإسلامي واستبداله بتاريخ فرنسا المتمدنة ، إلا أن إدراك رجال الإصلاح في الجزائر جعلهم يعيدون كتابة تاريخ الجزائر القديم لبعثه وإحيائه في مسرحية قدمت خصيـصا للناشـئ في المدارس التعليمية ، و كان هدفهم الأسمى هو إحياء تاريخ الأمة و استحضار أبطاله للإقتداء بهم و إتباع آثارهم .فالكتاب كانوا يرمون إلى غاية محددة هي تنبيه الجماهير في الجزائر لكي يلموا بماضي الأجداد و بطـولاتهم و أعمالهم العظيمة ، و التذكير بها و ذلك من شانه أن يوقظ في النفس الحمية الوطنية ،و يقذف في القلوب شعلة من النور .

و المسرح في الجزائر مر بعدة مراحل كما مرت كل الفنون و الأصناف الأدبية من رواية و قـصة و شعر، من إقتباس و محاكاة، ثم إنتاج فني متميز.وقد كان اختياري لهذه الدراسة لما لها من أهمية ـ في نظري ـ والتي جعلت الشعب الجزائري يسعى جاهدا في تحرير بلاده ورفع هامته بين شعوب العالم ، وتبقـى جهـود المصلحين بشتى أنواعها التبليغية محر الدراسة والبحث .

جاءت هذه الدراسة المعنونة " النص المسرحي والإصلاح الإجتماعي في الجزائر حتى سنة 1954 " في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، والدراسة في مجملها تناولت الإصلاح والحركات الإصلاحية في الجزائر إبان النصف الأول من القرن العشرين ودور المسرح في هذا الإصلاح . إذ تعرض الفصل الأول إلى المسرح كفـن أدبي ومسار نشأته وتطوره في الجزائر ، مع ذكر مراحل تطوره وبلوغه مستوى جعلته يعتمد عليه في نشر العي وتوجيه المجتمع وارشاده.

وتناول الفصل الثاني جملة من التعريفات والمصطلحات حول الإصلاح كاتجاه تربوي في المجتمع مـع التعرض إلى الحركات الثورية التي برزت في الجزائر والقصد من انشاء الجمعيـات التوجيهيـة والإصـلاحية والظروف التي دعت إلى انشائها ، وتناول الفصل الثاني كذلك طرحا مستفيضا حول الحركات والجمعيـات التي سبقت جمعية علماء المسلمين الجزائرين التي تتسم بالإصلاح والتربية ، والتي أصلحت المجتمع الجزائري في جوانب كثيرة ـ اجتماعيا وثقافيا وفكريا وسياسيا ـ ثم فكرة تأسيس جمعية علماء المسلمين مع تبيان أهدافها ومراميها وخاصة ما يتعلق بالإصلاح والتربية ، إصلاح المجتمع وتربية النشء، وذلك بانشاء المؤسسات والمراكز والتي أسندت لها مهام الإصلاح كانشاء الصحف وبناء المساجد واقامة المدارس والمعاهد .

ويبقى الفصل الثالث والذي أعطى للإصلاح والمسرح الأهمية البالغة ، ويتبلور ذلك في النماذج مـن الكتابات المسرحية الإصلاحية التي رافقت نشاط الحركات والجمعيات خلال العقد الثاني والثالث والرابع من القرن العشرين ، وكان ذلك في العديد من المسرحيات التي ألفت في هذه الفترة ، ونخص بالذكر مـسرحية "

بلال " لمحمد العيد آل خليفة ومسرحية " الخنساء " لعبد الرحمان ماضوي ومسرحية " رواية الثلاث " لبـشير الإبراهيمي ، وغيرها من النصوص المسرحية الإصلاحية ، والجانب الأساسي في هذه النماذج الأدبيـة ، هـي الإصلاح بالدرجة الأولى والتي يمكن أن تكون بعيدة على الفن المسرحي كنوع أدبي بقوالبه ومعييره ، مسرح لتوعية الجماهير وإيقاظها من سباتها لمقاومة الإستعمار الفرنسي واحباط مساعيه الراميـة لطمـس شخـصية الشعب الجزائري والقضاء عليه .

وجاء في الخاتمة ذكر لنتائج الدراسة وما تحقق من أهداف والتي يمكن أن تكون مواضـيع للدارسـين لبسطها في دراسات أكادمية مع تناولها من جوانب عديدة لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة للكشف عن مدى ما حققه الإصلاح في الجزائر من أهداف سامية .

و لقد ارتأينا الإعتماد في هذا البحث على عدة مناهج تخدم البحث ، كالمنهج التحليلي باعتبار أنـه الأنسب طالما أننا بصدد محاولة تحديد مميزات المسرح ودوره الإصلاحي ، كما أننا سنلجأ إلى استخدام المنهج التاريخي الذي يساعدنا على متابعة تطور الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية في الجزائر ، و التأريخ لـبعض المراحل المهمة ، و خلال إعدادنا لهذا البحث واجهتنا بعض الصعاب نظرا لقلة الدراسـات مـن مـصادرة ومراجع حول هذا الموضوع ، و قد تجاوزنا هذه الصعوبات بفضل المساعدات التي أمدنا بها الدكتور " صـالح لمباركية" الذي قام بالإشراف على عملنا هذا ، فلم يـدخر جهـدا في مـساعدتنا و إمـدادنا بـالمراجع و التوجيهات.

و قد إستعنا في البحث بعدة مصادر و مراجع منها :مسرحيات محمد الصالح رمضان وأحمد توفيـق المدني وأحمد بن ذياب ومسرحية "بلال" للشاعر "محمد العيد آل خليفة" ومسرحية "رواية الـثلاث" للـشيخ "البشير الإبراهيمي"، وذلك ما لهذه المسرحيات من أهمية في الإصلاح ، ومن المراجع العامة نـذكر كتـاب المسرح الجزائري بين الماضي والحاضرلبوعلام رمضاني - والمسرح في الجزائر- (جزءان) للدكتور صالح لمباركية

ـ وكتاب فنون النثر في الجزائر 1931-1954للدتور عبد المالك مرتاض - وفـصول في النقـد الأدبي الجزائري الحديث لمحمد مصايف ، وغيرها من المصادر والمراجع التي تخدم البحث .

وإني ممنونة بتقديمي الشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور صالح لمباركية الذي يرجع له الفـضل في انجاز هذه الدراسة ، لما قدمه لي من مساعدات ، وخاصة وقته الثمين ، وما جاد به علي من مصادر ومراجـع يعز وجودها ، وكذا نصائحه وارشاداته ، فله مني كل التقدير والإكبار .

كما أقدم شكري وعرفاني بالجميل إلى أساتذة قسم اللغة العربية وآدابا ـ كليـة الآداب والعلـوم الإنسانية ـ جامعة باتنة ، وكل العاملين بالقسم إدارة وموظفين ، وكذا مسؤولي المكتبة ، فلهم مني جزيـل الشكلر والتقدير والإحترام . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

فريدة زنودة

باتنة 10 -- 10 -- 2007

الفصل الأول

المسرح الجزائري _ النشأة والتطور _

1 – النشأة :

ظهر الفن المسرحي في الأدب العربي الحديث بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي في بلاد الشام التي كانت لها الريادة ، والفضل في نقله إلى الأقطار العربية الأخرى بواسطة " مارون النقاش " وأبي خليل القباني " ثم " سليم النقاش " ، الذين أدخلوا هذا الفن إلى الشام ثم إلى مصر حيث ازدهر هناك وتتطور ، ثم انتقل منها إلى العديد من البلاد العربية الأخرى في فترات متوالية.

وكانت الجزائر البلد العربي الأكثر تضررا من السيطرة الاستعمارية ، أولا من حيث طول فترة الاحتلال وثانيا من حيث ارتباط هذا الاحتلال بأهداف استيطانية نجم عنها حصارا استعماريا شديدا إذ كان

يقطع الصلات الحضارية بينها وبين شقيقاتنا الأخريات ، وذلك بعد عزلها عن الفعاليات الثقافية التي كانت تجري في الساحة العربية منذ منتصف القرن التاسع عشر.

لقد كان الاستعمار يهدف إلى تفتيت كل قيم التمع الجزائري ، وانطلاقا من هذه الأوضاع والظروف التاريخية القاسية يمكننا تعليل سبب تأخر ظهور المسرح في الجزائر إلى القطاع الثقافي الذي ضربه الاستعمار على الثقافة وكل ما من شأنه أن يقوي الثقافة العربية والجزائرية خاصة.

وكانت المحافظة على الأشكال القديمة من تراث الجزائريين ورفض كل غريب خشية سيطرة الثقافة الفرنسية ، وما تحمله من أفكار الدمج . وبناءا على هذا الخطر المهدد لكيان التمع الجزائري ضلت هذه الحالة من التعصب تسود الفكر والأدب عامة والفن المسرحي خاصة . " والواقع أن الجزائر لم تكن تخلو من أشكال التمثيل البدائية أو تلك التي ظهرت عندهم في مرحلة متأخرة نسبيا إثر تأثرهم بالأتراك كخيال الظل والكراكوز"[1] .

(1) ظهر فن الكراكوز وخيال الظل عند الأتراك منذ زمن بعيد وقد عرفته العرب في حوالي القرن 12/ نقلا عن نصر الدين صابيان – اتجاهات المسرح العربي في الجزائر 1945-1980- (مخطوطة) ماجستار سنة 1983 – دمشق – ص 10

فالتراث الشعبي في المنطقة غني ومملوء بالمضامين الحية الموازية لمرحلة مجابة الاستعمار ، ويربط الدارسون هذه الظاهرة في المسرح بالطقوس الدينية والأعمال السحرية والخرافات الشعبية ، إن هذه الأشكال المسرحية اتخذت مضامين خاصة أساسها ما يبدعه الخيال الشعبي الهائل ، الممتد في تاريخ الأمة ، وبطبيعة الحال كان تأثير الظروف المصاحبة لهذا الفن عبر مسيرته الطويلة ، فقد أخذت تطور هذه الأشكال غير أنا لم تكن كتلك التي شهدها المسرح اليوناني مثلا الذي كان سريع التطور ومتناسبا مع مراحل تاريخه المتوالية ، وهذا يتحقق في الأشكال المسرحية التي وجدت في البلاد العربية منذ القديم على الرغم من ظهور العفوية في هذا الصدد في بعض البلدان العربية ، ففي الجزائر نجد الشكل الروائي الشعبي مثلا : ي ع نحو الانسلاخ عن العروض الطقوسية ويتوجه إلى أشكال الفرجوة المسرحية التي تتضمن عناصر دينية ، لكنه توقف عند هذا الحد

دون أن يتقمص الحياة اليومية للناس بأشكال الواقع المطلوب ، ومن ثم بقي هذا الفن يتسم بتقنية خاصة امتزجت فيها الحقيقة بالخرافة امتزاجا مضطربا ، فبدت العناصر الواقعية مشوشة تعلوها ضبابية الرؤية وتذبذب الاتجاه، وتوزعه بين عالمي الخرافة والواقع الحي من غير أن يحرز التطور المطلوب في مختلف المراحل.

"والواقع أن هذا الشكل المسرحي التقليدي كانت تقدم عروضه بتقنية بدائية أولية لكنها في الوقت نفسه لا تخلو من إمكانات المسرح الحقيقي من حيث كونه نصا أدبيا وأفعالا وحركات مصحوبة بالموسيقى والغناء " [1].

وقد وصفت تمثيلات مثل "خيال الظل" بأنا فكاهية في أغلب الأحيان ويقوم بأدائها ممثلون لم يكن لديهم من مكتوب بل كان يعتمد على حضور البديهية والقدرة على ابتكار الحوار الذي يجري بين أبطال التمثيلية الذين يتبادلون ا لادلة ، وقد ضل هذا النوع من المسرح قائما من

(1) المرجع السابق – ص 14.

منتصف القرن التاسع عشر حتى قضى عليه الاستعمار قضاءا مبرما ، وبني على أنقاضه المسرح الفرنسي في الجزائري [1] . كان الاستعمار الفرنسي قد عزز قوته العسكرية في الجزائر فجلب معه فرقا مسرحية فرنسية قدمت عروضها الفنية في بداية الأمر للجنود الفرنسين في الثكنات العسكرية وفي قصور الدايات ، قدمت عروضا من المسرحيات اليونانية ، ولقد عملت الفرق المسرحية الفرنسية التي جلبها الاستعمار على تقديم عروض خاصة لهؤلاء الجنود لإقناعهم بمهماتم العسكرية وشد بأسهم، ولإثارة حماسهم ورفع معنويات الجيش الفرنسي المنهار أمام المقاومة الشعبية العـ ـارمة، خـاصة وأنه كـان يضـم بعض العنـاصر المعـ ـارضة لهـذا الاحتـلال ، والواقـع أن الفرنسيين كانوا يدركون أهمية المسرح والدور الذي يمكن أن يلعب في نفوس المقاتلين الغزاة ، لذلك نجد الجنرال "كوزيل" كثير الاهتمام بإنشاء مسرح فرنسي في الجزائر،وذلك منذ

الأيام الأولى للاحتلال[2]. وأصدر مرسوما بذلك في 12 نوقمبر سنة 1830 ينص على ضرورة إنشاء مسرح فرنسي في الجزائر العاصمة ، غير أن المباشرة فيه كانت (1850) بعد ثلاث سنوات من القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر ، الذي كاد أن يقضي على المحتلين في الغرب الجزائري وأذاقهم طعم الهزيمة ، ودام بناء المسرح في العاصمة ثلاث سنوات ، اذ أفتتح في 29 سبتمبر سنة 1953, بعرض درامي من تأليف أحد الضباط في الجيش الفرنسي ، بعنوان " الجزائر" باللغة الفرنسية و تتضمن أحداثها وصف عملية الاستيلاء على الجزائر، واعتلاء فرنسا على كرسي العرش ، ومن الملاحظ أن هذه المسرحية كانت"تعبيرا صريحا على انتصارات الجيش الفرنسي في الجزائر خلال هذه المرحلة الثانية من الاحتلال ،أي بعد هزيمة الأمير عبد القادر ، وهي في الوقت نفسه محاولة لرفع معنويات الجيش الفرنسي وتشجيعه على استكمال الخطط القادمة من أجل تحقيق أهداف هذا الاحتلال "[3] .

(1) مجلة الحلقة - العدد الأول - الجزائر – سنة 1972 - ص: 11

(2) محمد خير الدين فارس – تاريخ الجزائر الحديث – ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1989 - ص 233.

(3) مجلة الحلقة - العدد الأول - الجزائر – سنة 1972 - ص: 12

وهكذا ضلت كل المسرحيات اللاحقة التي تتابع عرضها في هذه البناية موقوفة علي الجنود الفرنسيين، ثم توسعت بعد ذلك حيث أصبحت تشمل جميع المتفرجين الأوروبيين الذين هاجروا إلى الجزائر تحت تأثيرات الحكومة الفرنسية . "وكانت تلك العروض عبارة عن تشجيع لهم على انسجام مع واقعهم الجديد في الجزائر ومحاولة من السلطة بخلق أجواء شبيهة بالأجواء الأوروبية"[1] .

و في نـاية الأمر، فهي دعاية لاستقبال المزيد من الأوروبيـيـن الجـانب للاستعمـار الجزائر واحتلالها ، وهذا أمر تدل عليه الزيارات المتعددة التي قام با أشهر رجال الأدب والفن الفرنسيين للجزائر ، وما قاموا به من كتابة الرسائل لوصف بناية المسرح والعروض المقدمة فيها ، ولعل أبرز هذه الزيارات زيارة (دوماس الابن) سنة 1864 [2] .

وبغض النظر على الأهداف المتعددة لهذا السلوك الاستعماري ، فإن الحكومة الفرنسية كانت تحث مهندسيها على تغير أوجه المدن الجزائرية بدءا من العاصمة ، ليجعلوا منها شبيهة بالمدن الفرنسية لإغراء الأوروبيين للهجرة إليها ، ولعل أوضح دليل على هذه الإغراءات ما قاله رئيس الحكومة الفرنسية أثناء توديعه للمهاجرين الفرنسيين :

" إن المستقبل لكم فهناك ستجدون ، مناخا صحيا وسهولا شاسعة وأراضي خصبة ملكـا لكم وليس لأحد غير كم ، وستحرثونا ، وترتقون إلى حيـ ـاة مزدهرة وشريفة " [3] .

وعلى هذا النحو من السياسة الاستغلالية المتـعجرفـة ، ضل الجزائريون يعيشـون على هامش الحياة

(1) عباس فرحات – ليل الاستعمار – المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ـ ص :95

(2) المرجع نفسه – ص 97

(3) نصر الدين صبيان – اتجاهات المسرح العربي في الجزائر 1945 – 1980- ص:18

سواء في المدن أو في الأرياف ، وبطبيعة الحال فإن من يحرم من أرضه وأملاكه ووسائل عيشه الضرورية فإنه

حتما محروم من الوسائل الثقافية الترفيهية ، فبناية المسرح للفرنسين المقيمين في الجزائر، فبقى الجزائريون على عزلتهم وعدم الاختلاط مع هؤلاء الغرباء، وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن هذه العزلة كانت لأسباب يبدو عنصرية صرفة ، ولكن يبدو أن هناك عوامل شتى ساعدت على عدم استفادة الجزائريين من هذ

الفن في فترة مبكرة ، فبالإضافة إلى التمييز العنصري الذي كان يقوم به الفرنسيون ، هناك عوامل أخرى خاصة بالشعب الجزائري الذي لم يكن ذوقه العربي الإسلامي يتفق مع هذه المؤسسات الغريبة عنه كل الغرابة، سواء من حيث أشكالها المعمارية أو من حيث طبيعة العروض التي كانت تقدم فيها ، بالإضافة إلى الأجواء التي كانت تسود حتما تلك التجمعات الأوروبية المختلطة من الرجال ، والنساء ، مما كان يثير

حساسية الجزائريين المسلمين و يزيدهم نفورا وابتعادا على العادات والتقاليد الأوروبية ، من هنا كان خوف الجزائريين وتحرزهم على الاختلاط بؤلاء الدخلاء ، فكان ذلك تعبيرا عن نفورهم من هؤلاء المستعمرين ، ومن الناحية الدينية كانت هذه الصور المتحررة تعني المحافظة على الأخلاق الإسلامية والامتثـال لتعـاليم الدين الذي يأبى التبرج والسفـور ، أضف إلى ذلك كله الفارق اللغوي ، إذ كان الجزائريون ما يزالون عاجزين عن استخدام اللغة الفرنسية أو فهمها مما جعلهم بطبيعة الحال غير قادرين على فهم ما كان يقدمه الفرنسيون من عروض مسرحية.

و مع ناية القرن التاسـع عشر الميلادي وبعد السفر إلى البلاد الأوروبية من قبل بعض

المفكرين والمثقفين ظهرت محاولة لتقليد المسرح الأوروبي قام با بعض الجزائريين من النخبة التي سبقت تعلم اللغة الفرنسية إثر احتكاكهم بالفرنسيين.

وقد تذوقوا من خلالها الشكل المسرحي العربي ، واستأنسوا به فحاولت فئة منهم تكوين مسرح كلاسيكي على غرار ما شاهدوه في فرنسا أو في الجزائر، لكن تجربتهم منيت بالفشل إذ لم يستدعوا انتباه أحدا من الجمهور الجزائري لأن هذا الجمهور كان يفضل الاستمتاع بمناظر الفرجوية.

وكان استمتاعهم "بروايات المداحين في الساحات والأسواق الشعبية لأن هذه الأشكال كانت تنمو مع شعور الأهليين إذ كانت تعبر عما يختلج في نفوسهم من مشاعر معادية للاستعمار، غالبا ما تطرح بأساليب ساخرة وغامضة لا يفهمها إلا الأهليين بقصد تجنب مضايقات السلطة الاستعمارية "[(1)] .

وعلى الأقل كانوا يتمتعون "بالنكتة المضحكة والحركات البهلوانية وما إلى ذلك من عناصر التطهير التي التصقت بذه الأشكال الشعبية لذلك استمرت الأحوال على ما كانت عليه من اهتمام الناس بالأشكال

(1) ـ مجلة الأصالة (الجزائر)-العدد 22 سنة 1974 ص :13

المسرحية الشعبية التي كانت أصحابا يكثرون من التجوال في المدن والقـرى المختلفـة لتقديـم ما عندهـم من الفنـون مقـابل تبرعـات المحسنـين "[1] .

هذه الفنون لم تعرف الاستقرار بعد الاحتلال الفرنسي لأن السلطات كانت تتبع المشتغلين بـا و تعاقبهم بالتشريد أو السجن والغرامات المالية ، مما أدى إلى إضعافها في المدن وعزلها عن هواتا ومع ذلك فإن هذه الفنون لم تنقطع عن جمهورها كلية ، وإنما ضلت قائمة في تحد كبير حتى سنوات الثورة التحريرية ، حيث ازدادت وحشية الاستعمار في قمع الفنون الشعبية بسبب تطورها وتطور مواقفها التي لم ترض السلطات الحاكمة ."والواقع أن هذا السلوك الاستعماري لم يتوقف عند الفنون التمثيلية وإنما شمل جميع الروافد الفكرية والثقافية التي تعزز الوجود الحضاري للشعب الجزائري ، لذلك نشطت فكرةالثقافة الفرنسية التي سعت إليها فرنسا بدلا عن الثقافة الجزائرية المحلية منذ البداية "[2] .

ومن هنا يمكننا طرح السؤال التالي ، هل استطاع المسرح الفرنسي الدخيل أن يؤثر في الجمهور الجزائري ويجعله ينسجم معه في هذه المرحلة التاريخية وما أسباب ذلك؟.

فالواقع أن تأثير المسرح الفرنسي في الجمهور الجزائري كان منعدما حتى هذه المرحلة والدليل على ذلك عدم اقتداء الجزائريين بهذا المسرح لمدة تناهز قرنا من الزمن وحتى محاولة الإقتداء التي قام بها بعض المثقفين منيت بالإخفاق ، بل إنها ماتت قبل أن تولد ، ويرجع ذلك لعدة أسباب هي :

1 – كان السبب الأول في تأثير الجزائريين بالشكل المسرحي الأرسطي هو العزلة التي عاشها الجزائريون من جراء السياسة العنصرية الاستعمارية وقد ساعدت على حدة هذه العزلة عوامل حضارية أخرى

---

(1) - المرجع السابق ، ص 19

(2) - أحمد بن نعمان – التعريب بين المبدأ والتطبيق ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ـ ص : 155 .

متعلقة بالعادات والتقاليد الغربية التي أدخلها الأوروبيون إلى مجتمع متدين ينفر من أجواء الاختلاط والتبرج .

2 – يمكن إرجاعه إلى النمط المسرحي والدور التي كانت تجرى فيها الأنشطة المسرحية على طريقة البرجوازية الأوروبية في القرن التاسع عشر، وهي طريقة تفرض أنماط معينة ومحددة من السلوك على المتفرج داخل البناء المسرحي الذي لم يعتد الآهلون ارتياده والتالي لا يناسب ذوقهم .

أما الأسباب الأخرى فتتراوح بين طبيعة العروض التي كانت تقدم بها المسرحيات في تلك الفترة والتي لم يكن يتذوقها الجمهور الجزائري ،سواء من حيث صياغتها الفنية أو اللغوية ، بالإضافة إلى المضامين المعادية لطموح الجزائريين الناقمين على السياسة الاستعمارية ، ولعل هذا الأمر –وحده- سباق لتسويغ تعصب الجزائريين ونفورهم من الفنون التي جلبها الاستعمار في الوقت الذي كانوا يبحثون فيه عن كل متنفس لتفريغ

حقدهم وملء فراغهم ولعلهم كانوا يجدون ذلك في المقاهي والتجمعات الشعبية المتنوعة [1] .وبغض النظر عن كل هذه الأسباب فإنه يكفي أن يكون المسرح بعيدا بشكله ومضمونه عن ذوق الجماهير يلقي الرفض والهجران فما بالنا وقد عرفنا أن المسرح الفرنسي دخل إلى الجزائر مشحونا بروح عدائية للمجتمع الجزائري ، معالجا من خلالها موضوعات شديدة الاتصال بسياسته الاستعمارية وشديدة البعد عن حياة الأهالي وهمومهم التي ازدادت بعد الاحتلال .ومن هنا بدأت إرهاصات المسرح الجزائري تتشكل عبر مراحل تاريخية متلاحقة ، لقد آلت الأحوال الاقتصادية إلى البؤس والاضطراب وهذا ما وصفه القائد "الكاردينال" لافيجري قائلا : " الفلاحون في بلاد القبائل كانوا يأكلون العشب وأوراق الشجر وهم شبه عراة " [2] .

---

(1) أنظر نصر الدين صابيان _ اتجاهات المسرح العربي في الجزائر 1945 – 1980 – ص : 21

(2) المرجع نفسه – ص 24

أما أحوالهم الثقافية فلم تكن خير من ذلك ، مما جعل الجزائريون قد صرخوا عند إحساسهم بخطورة الوضع . وتعالت الأصوات أثناء الحرب العالمية الأولى ، أي بعد تأثر الحركة الوطنية الجزائرية بمختلف الحركات التحريرية التي دعت إلى وضع برنامج لإصلاح أحوال الشعب السياسية والاجتماعية والثقافية .وبدأ الشباب يعقدون اللقاءات الثقافية ، والفكرية عن طريق إلقاء المناظرات وتقديم بعض العروض المسرحية البسيطة والمعروفة في الجزائر باسم "رواية" وفي العالم العربي باسم "سكاتش" ثم تطورت هذه الأنشطة المسرحية في أحضان الحفلات الغنائية التي كانت تقام في المناسبات المختلفة خاصة الدينية منها " [1] . وكان المسرح أول الفنون التي استجابت إلى هذه الدعوة " فقد انطلق في المسار الثقافي الجديد خاصة بعد أن تحقق الاتصال الفكري بين الجزائر والمشرق العربي ، وأصبحت الشخصيات والوفود الثقافية والأدبية تتوافد على الجزائر ، لإجراء الحوار والاحتكاك المباشر بالمثقفين من أهل البلاد " [2] .عـرف الـمسرح الجزائـري كثيـر من الصعبـ ـات ، ومر بمراحـ ـل تاريخية متعددة ، رغم أن هذه المراحل قصيرة إلا أن كل واحدة منها تتميز

بصفات خاصة تعطيها طابعها المستقل عن المرحلة السابقة أو اللاحقة ، لذلك يمكن تقسيم المراحل التي عرفها المسرح الجزائري في الفترة الممتدة من 1921 إلى غاية 1962 إلى خمس مراحل وهي

1 – المرحلة الأولى :

وتنحصر ما بين 1921 – 1926 ، لم يقم المسرح الجزائري في هذه المرحلة بمبادرة من الجزائريين أنفسهم وإنما نشأ علي أيدي المحتلين الفرنسيين رغم أن بعض المسرحيين العرب "كجورج البيض " وقدوم فرقته في ربيع سنة 1921 هذا الحدث الأكبر الذي هز المثقفين الجزائريين من الشباب [3] .

---

(1) عبد المالك مرتاض – من فنون النشر الأدبي – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – ص 36

(2) المرجع نفسه ـ ص 24

(3) بوعلام رمضان– المسرح الجزائري بين الماضي والحاضر– المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر ص 13

فقد أتيحت للجمهور الجزائري فرصة ثمينة تعرف من خلالها على المسرح العربي غير أن هذا الحضور لم يسجل نجاحا بسبب حالة المثقفين وتشتتهم في أرجاء متعددة ، مما جعل "الأمير خالد" الجزائري يشرف بنفسه على الدعاية، حوالي ثلاثة أيام قبل موعد تقديم العروض."على الرغم من جهوده الكبيرة في سبيل الإعلام ، فإنه لم يستطيع أن يجمع سوى بضعة متفرجين من الطلاب والمثقفين الذين كانوا ينتمون إلى الأندية والمؤسسات الثقافية المختلفة على أن هذا العدد تزايد في عروض لاحقة ، إذ بلغ عدد الحضور في العرض الأخير (مجنون ليلى) مـا يقـارب السبع مـائة متفرج [1]، والجدير بالذكر أن المسرحيات التي عرضتها فرق جورج الأبيض ، كانت مستقاة من صلب التاريخ العربي .وهذا ما توضح لنا من خلال عناوينها : "شارات العرب"، و" صلاح الدين الأيوبي " و " مجنون ليلى " .وبالتالي كانت تستخدم اللغة العربية الفصحى أداة للتعبير، فلم تلق نجاحا كبيرا في الجزائر لكونا لا تتعلق بالجمهور الجزائري الذي كان يعاني من الأمية والجهل ، بالإضافة إلى افتقاده إلى التقاليد المسرحية التي تدفعه إلى ارتياد قاعات العرض ، والفهم لما يدور فيها من تمثيليات.

إننا لا نكاد نتصور الأثر الذي تتركه هذه العروض المسرحية في نفوس الجزائريين الشباب المثقف ، فلم تكن تنتهي السنة نفسها حتى ظهرت للوجود فرق منها ."فرقة جمعية الآداب والتمثيل العربي "على يد الطاهر علي شريف سنة 1921 وقد قامت بعروض لمدة ثلاثة سنوات حتى انتهى أمرها بالافلاس (2) .ولكن هذا لا يعني إفلاس الحركة المسرحية الجزائرية قاطبة ، وإنما قدوم الممثل التونسي "عزوز باي" جعل الشباب المثقف يستفاد من خبرته بتقديم عروض مسرحية من نوع (سكيتش) مسرحية "خياط وخياطة"، إذ حضر ثلاثة مائة متفرج ثم تلتها مسرحيات أخرى. والواقع أن هذه الحماسة في تكوين الفرق المسرحية ، كانت طبيعية في رحاب ذلك الانتعاش.

---

(1) M. BACHTARZI – MEMOIRES –1919_1939- S.N.D – alger- 1968- p 40

(2) المرجع نفسه – ص 44

فنجد المسرح الجزائري إثر مروره بتجربة تاريخية مع "فرقة جورج الأبيض" وكـذا فرقـة الآداب والتمثيل العربي الجزائرية استطاع أن يعايش العروض المسرحية المتوالية ، ذلك مما سـاعد على التحرر شيئا فشيئا من قيود شتى ، خاصة تلك التي كانت تعد المسرح زندقة . ومن الآثـار التي خلفتها هذه الزيارات ظهور فرقة مسرحية أسسها "محمد منصالي" العائد من لبنـان محمـلا بالكتب العربية من ضمنها مسرحية بعنوان "في سبيل الوطن" عرضت عام 1922 ، غير أنا أعلنت الإفلاس بعد عرض المسرحية الثانية للكاتب "جرجي زيدان" ، كما منعت الـسلطات الفرنـسية إعادة تقديم المسرحية الأولى لما فيها من أفكار حول الوطن والحرية والجهـاد. ومـن ثم نجـد أن المسرح الجزائري الحديث نشأ بتأثير المسرح العربي وليس بتأثير المسرح الفرنسي ، وهذا أمر يبدو من عوامل شتى منها : ثقافي ومنها ما هو سياسي ومنها ما هو اجتماعي .وللفصل في الأمـر ،

فإن المسرح الفرنسي مهد لوجود مسرح جزائري ، ولكن المسرح العربي المشرقي كان لقاءه لقاء تعانق وتعاطف ، مما أدى إلى خلق حركة مسرحية في الجزائر استطاعت أن تشق طريقا وسط مسالك صعبة وظروف قاسية.وانطلاقا من هذه الظـروف هنـاك أسباب تعددت لتجعل الحركة المسرحية الناشئة تخفق ، إذ كانت العناصـر المتعلقـة مباشرة بالتأليف المسرحي كجودة النص المسرحي شكلا ومضمونا مناسـبة للـذوق العام من الأمور الضرورية لإنجاح العمل الفني المسرحي فمثلا المكان للعرض يجـب أن تتوفر فيه شروط (1) ، وذلك لإفساح اﻟﻤﺎل لإبداع وكذلك بعث الراحة في نفوس

(1) أنظر نصر الدين صبيان – اتجاهات المسرح العربي في الجزائر – 1945 – 1980 – ص 18

المتفرجين والممثلين على حد سواء.

كما برز بعض المسرحيين الهواة الذين جربوا حظهم عام 1923 ، فنجد رشيد بن شـنب يؤكد أن هذه الفترة لم ينشأ المسرح الجزائري من طرف الجزائريين على غرار علالو الذي عمل مع جمعية المذهبية التي ينشطها الطاهرعلي شريف والتي قدمت كل من مسرحيات "الـشفاء بعـد العناء" ، في فصل واحد في سنة 1923 كتب "قاضي الغرام" وفي سـنة 1924 كتـب مـسرحية "بديع".

المرحلة الثانية : 1926- 1934

امتازت المرحلة الثانية ببروز الفنانين الذين قدموا مسرحيات واقعية اهتمت بقضايا الشعب

وبالمقاومة السياسية التي بدأت في مطلع العشرينيات ، وقد وصف (مالك بن نبي) هـذه الفتـرة بقوله : " حوالي عام 1926 بدأت في الأرض حركة ، وكان ذلك إعلانا لنهار جديد وبعث لحياة جديدة ، فكأنما هذه الأصوات استمدت من جمال الدين الأفغاني قوتنا الباعثة ، بل وكأننا صدى لصوته البعيد ، وقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات بن باديس فكـ ـانت تلك سـاعة اليقظة ، وبدأ الشعب الجزائري المخدر بأي تحرك ويا لها من يقظة جميلة مباركة ، يقظـة شـعب مازالت مقلتاه مشحونتين بلزوم فتحولت إلى خطب ومحادثات وجدل ، وهكذا استيقظ المعنى

الجمالي وتحولت مناجاة الفرد إلى حديث الشعب "[1] .

فمن بين أشهر رجال المسرح في هذه الفترة ، رشيد القسنطيني و سلالي المدعو ' علالو' و'دحمـون ' فكتب علالو مسرحية جزائرية بعنوان 'جحا ' وعرضت يوم 12 أبريل عام 1926 على خـشبة المـسرح الجديد 'كرسـال' (سـابقا) ، كتبها باللهجة العـامية مراعاة للمستوى الثقـافي لجمهور تلـك الفترة ، وعكست الكثير من القضايا التي تمس الحياة الاجتماعية مستعينا برمـوز مـن التـراث العـربي . وعرف"رشيد القسنطيني" في تلك بطريقته الساخرة في نقد الأوضاع السائدة حتى قال عنه 'كاتـب يـسين' "شابلين الجزائري" . وأبرز شخصية تتمثلت في تلك الفترة هو ظهور' محي الدين باشطارزي' الـذي كـان يهدف من خلال مسرحياته إلى خلق تربية دينية ، وقد كتبت صحيفة "الجزائر الأحداث" في هذا الصدد قائلة : " هدف باشطارزي لم يكن تجاريا ، وكل مسرحياته تبين أنه كان يطمح في هذه الفترة إلى هدف وحيـد وهو الرفع المعنوي والأخلاقي للمسلمين " (2) تناول المسرح في هذه الفترة الآفات الاجتماعية ، كآثار الخمر والزواج المتعدد وسلوك بعض الوصولين ، كما حاول المسرح إيجاد إتجاه جديد ، حيث كان يسعى إلى جمهور وإعطاء طابع خاص لنفسه، حتى يتمكن من ترسيخ هويته الثقافية ، وتمثلت أهدافه آنذاك في تأكيـد الهويـة الثقافية الإسلامية العربية ومحاربة الآفات الاجتماعية وتنمية الجانب الأخلاقي ، وإذا نظرنا إلى مجمـل هـذه الأهداف نجدها تعكس الواقع الاجتماعي المعيش بمضمون ثوري بلغة شعبية بسيطة (عاميـة)، واللجـوء إلى التراث لخدمة قضايا معاصرة كمسرحية (جحا) ، تلك الشخصية الأسطورية التي كانـت تفـضح الحكـام وتجسد المشاكل الاجتماعية اليومية .

---

(1) المرجع السابق – ص 19

(2) بوعلام رمضان- المسرح الجزائري بين الماضي والحاضر ـ ص : 12

المرحلة الثالثة : 1934 – 1939

تمثل هذه المرحلة بروز المسرح الجزائري ، حيث كان لظهور الأحزاب السياسية الوطنية دور في إعطاء المسرح الطابع السياسي ، وزاد نشاط ' رشيد القسنطيني' الذي كتب للفرقة الشعبية مسرحيات نقدية ساخرة خلقت نوعا من العلاقة الروحية بين المسرح والجمهور ، وكان استعمال اللهجة العامية يخضع لظروف أملاها الواقع السياسي لتلك الفترة ، إذ كانت السلطات الاستعمارية تحرم استعمـــال اللغة الفـصحى ، فوجــد رجـــال المسرح اللهجة العامية وسيلة لتحطيم الرقـــابة على اللغة الفصحى و للوصول إلى الجمهور الذي كان يعاني من الأمية ، أما مضمون المسرحيات فكان يدور أساسا حول ضرورة النضال السياسي وإبراز تاريخ وهوية شعبنا، ،وعن الكتاب المنتمين إلى جمعية العلماء المسلمين . نذكر"محمد العيد آل خليفة" عـام 1938 والذي كتب مسرحية شعرية بعنوان ' بلال بن رباح' (1) .

المرحلة الرابعة : 1939 – 1945

وهي فترة الحرب العالمية الثانية، حيث حــدث الانقطــاع بــين المــسرح والجمهــور ، لتزايــد القهرالاستعماريي وبروز الأحزاب السياسية الوطنية في شكل جبهة مناهضة للاستعمار الفرنسي الذي وقــف بالمرصاد لهذه التطورات "ولم يكن المسرح بعيدا عن هذه التطورات لذلك تم تشديد الخناق عليه ، لــدوره في إذكاء الروح الوطنية في الجماهير، وكان المسرح رغم تلك الظروف المعبر الحقيقي عن أوضاع الوطن ، فكان في مستوى تلك الأحداث التي بلغ فيها الوعي الوطني الذروة لدى الشعب الجزائري " (2) .

ولإفشال مهمة المسرح آنذاك كان الاستعمار يسد الطريق أمام الفرق المسرحية العربية التي كانت

---

(1) المرجع السابق ص 14

(2) المرجع نفسه – ص17

تزور الجزائر بدف قطع الصلة بين المسرح الجزائري وباقي المسارح العربية، ولعزل الجزائر عن الوطن العربي الذي كان يدعم نضال شعبنا ، ولم يكتف الاستعمار الفرنسي بمثل تلك الإجراءات بل تجاوزها إلى حد إغلاق قاعات المسرح ، ومنع العروض ، الأمر الذي دفع المسرحيين الجزائريين نحو الاقتباس فأصبح المسرح لا يعكس الواقع الوطني ، ورغم محاولات الطمس والإجهاض تحدي رجال المسرح الاستعمار ، وبرز آخـرون على الساحة المسرحية نذكر منهم 'محمد التوري' و'مصطفى قزدرلي' "[1].

المرحلة الخامسة : 1945 – 1962

كانت محاولات مسرحية كتبت بالفصحى فقد كتبت عدة مسرحيات في هـذه الفتـرة [2] منـها مسرحية ' الناشئة المهاجرة ' سنة 1947 لمحمد الصالح رمضان ، ويدور موضوعها حول الهجـرة النبويـة الشريفة ، ومثلت لأول مرة في تلمسان ومسرحية 'الخنساء' للكاتب نفسه ، ومسرحية 'حنبعل' لأحمد توفيـق المدني ومسرحية 'المولد' لعبد الرحمان الجيلالي ومسرحية 'صنيعة البرامكة' أو 'بن رشد'ومسرحية ' أبو الحـسن التيمي ' لأحمد رضا حوحو سنة1947 والذي أسس فرقة 'المزهر القسنطيني' عام 1949 ، كما كان لمحمد الطاهر فضلاء دور في المسرح العربي والذي كتب باللغة الفصحى عدة مسرحيات وأسس عام 1947 فرقة 'هواة المسرح العربي' ، ومن أعماله " الصحراء" التي اقتبسها من مسرحية ليوسف وهبي . إلى جانب 'شـباح المكي' الذي برز قبل هذه المرحلة وكتب مسرحيات عرضت في بسكرة والعاصمة وفي العديـد مـن المـدن الجزائرية ، وهو من الشخصيات المسرحية الهولة في تاريخ المسرح الجزائري [3] .

---

(1) المرجع السابق – ص 17

(2) المرجع نفسه - ص 19

(3) حديث مع شباح المكي نقلا عن المرجع نفسه – ص 21

الفصل الثـــاني

بوادر حركة النهضة والإصلاح الاجتماعي في الجزائر

أولا: بوادر النهضة و أصول الحركة الإصلاحية في الجزائر

إن إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودراسة تاريخ هذه الحركة الإصلاحية يتطلب تجاوز الحدود الجغرافية، إذ أن الجزائريين كانوا في بداية القرن العشرين يترقبون وصول بريد المشرق العربي الذي كان يتمثل في الكتب والـلات التي تنشر مقالات وأفكار مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش وغيرهم من قادة الحركة الفكرية وأرباب الأقلام العربية في مصر [1] . الجزائر أول بلد عربـــي يسقط فريســـة بين أيادي الامبريـــالية والرأسمـــالية، وكانت آخر قطر عربي تأثر لفكرة الإصلاح المعاصر ، إذ كانت الجزائر تخضع للسيطرة الفرنسية المباشرة ، بل وتعيش في حيثيات القانون الفرنسي. إن الجزائر التي يحكمها هذان العاملان ، الجغرافي و التاريخي كانت في حاجة إلى وقت لنضوج الدعوة الإصلاحية و تغلغلها في أوساط جماعة المثقفين الجزائريين ، و لكي يتم إصلاح حالة الفرد الاجتماعية و الدينية يتطلب من زعماء الأمة أن يهيؤا قدرا من وسائل القوة و الداعية الشاملة و الأيدي العاملة لكسب الأرزاق ، و العمل على خلق الوحدة بين الجماهير الشعبية وهذه العوامل كلها ضرورية من أجل القيام لحركة إصلاحية شاملة وناجحة [2] . فالإسلام أوصى بالإصلاح ، كان دعاة الإصلاح يستمدون دعوتم من مبادئ الإسلام الصحيحة ، إذ كانوا يطهرون العقول والنفوس من البدع والخرفات ، ثم يتدرجـــون في سلم الحياة الاجتماعية و السياسية، وهذا هو الدرب الذي سار عليه علماء الجزائر في الربع الثاني من القرن العشرين. ما دام القرآن الكريم هو أول من أوصى إلى الـتمع الإنساني بفكرة الإصلاح ومنه فالإصلاح من بين تعاليم الإسلام الأساسية، لأن جذوره مستمد أو مأخوذة من القرآن الكريم. ففكرة الإصلاح و قوتا منة حقيقة دينية ، إن بعض الشخصيات قد حاولت نشر تلك الفكرة

---

(1) محمد علي دبوز – نضة الجزائر الحديثة وثورتا المباركة – الجزء الثاني – المطبعة العربية – الجزائر – ص 28

(2) أنظر محمد الخضر حسين – الدعوة إلى الإسلام – ط2 – المطبعة التعاونية – لبنان 1973 – ص60 العقائدية مثل الغزالي * و كذا ابن تومرت **و غيرهما من علماء المسلمين .

فالمعلمون الذين برزوا على رأس كل عصر كانوا يرجعون في معالجة الأمراض الاجتماعية والخرفات التي كانت تحيط بالدين إلى منابع الإسلام الصحيحة الصافية هي حركة إصلاحية ظهرت في الشرق العـربي ، و أخـذ المثقفون يتطلعون إلى مبادئها وأهدافها ، جذب بعض علماء الجزائر إلى هذا الاتجاه الجديد وحـاولوا تطبيـق إصلاح التمع مع الإصلاح السياسي وظهور الشكل الحديث للحركة الإصلاحية في الإسلام إلى الشيخ محمد 'عبده 'وكذلك تلميذه 'رشيد رضا'في الشرق العربي. 'محمد عبده' زعيم الحركة الإصلاحية في الشرق كان له تأثير إيجابي على أفكار المثقفين الجزائريين لأن اسمه وتعاليمه قد تخطى كل الحدود ، وأن المشارقة قد اعترفـوا بأن 'محمد عبده' هو المعلم في مصر وكذالك بالنسبة للمغرب العربي فقدكان قلعة تتفاعل فيه أفكار هذا المعلم العظيم وعبقريته الفذة إذ استطاع أن يعيد إلى أذهان الجزائريين فضل الإسلام . إن المثقفين الجزائريين الـذين يعملون على استنباط البعد الحقيقي لأخذ الفكرة الإصلاحية الحديثة ، وأصبحوا يـدركون أن الإسـلام في الجزائر أصبح يعيش في عزلة جغرافية ' فكانت الجزائر ثلاث مدارس ، الأولى في العاصمة والثانية في تلمـسان والثالثة في قسنطينة ، ولكن هذه المدارس تفتقد إلى الوسائل الكفيلة للإصلاح .إن الجزائر في حاجة إلى دافـع تاريخي كي يتحدى سمات القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين، وتخرجه من وضعيته حتى يتكيف ويتناسـب مع العالم الجديد، لأن الجزائريين المسلمين بحاجة ملحة إلى التكوين المعاصر لتحريك الإسلام وتمزيق ضـباب الخرفات الذي خيم على ربوع

---

* الغزالي (أبو حامد محمد) (1058-1111) متكلم وفيلسوف مسلم ، ولد بـ(خرسان) اهـتم بدراسـة الفقـه والكلام، وحاول التوفيق بين الدين والفلسفة .

** هو محمد بن عبد الله بن تومرت – مؤسس الدولة الموحدية ، نشأ في بلاد المغرب الأقصى جنوب غربي مـراكش ، وقضى فترة من الزمن في قرطبة، وشهد إحراق الفيلسوف الغزالي، واطلع على كتب ابن حازم، وتأثير بأفكاره، فنشأت في نفسه فكرة دراسة الفقه الإسلامي في المشرق، رحل إلى بغداد عام (1007) وعكف على دراسة أفكـار وتعـاليم الأشعري

الجزائر، وكان لمحمد عبده دور فعال ، وهو الذي أوقد في أواسط المثقفين التقليدين في الجزائر ، ودعا المسلمين للرجوع إلى بساطة الإسلام الأولى، وكذلك التأمل في المسلكين الوجيهين : هما القـرآن والـسنة النبويـة الشريفة، ويبين لنا أن الحقائق التي جاء بها العلم الحديث لا تتناقض والقرآن الكريم ، فتمكنت لذلك حركـة الإصلاح الإسلامية من أخذ جميع مكاسب العلـ ـوم بدون تنـازل عن تقـاليدهـا الدينيـة، ومـصوبا ضد الغـرب نفس الأسلحـة التي تلقاها منه [1]. ثم ظهر الإندامجيون ليبرهنوا على حسن سياسـتهم بـأن سكان الجزائر نوعان،نوع حي ونوع على حافة الهواية ، قسم يتمتع بكل الحقوق،وقسم محروم منجميعها [2]

فالإندماجيون يعتبرون سياسية الاتحاديين الجزائريين بدعوة أن العربي الإسلامي مفقـود في الجزائـر، وعلى هذا النحو فإن الجزائريين لا يبقوا على حالتهم الحاضرة [3] .أما بالنسبة لأنصار الإتحاد فقـد اعتـبروا سياسة الاندماجيين هي المأزق الذي لا يمكن الخروج منه بالنسبة للجزائريين ، ورأوا فقدان التمـدن العـربي الإسلامي في الجزائر يمكن أحياؤه بنقله عن جيران الجزائر وأشقائها المشارقة .وكان الاتحاديون يعارضون فكرة الاندماج في الكيان الفرنسي على أساس أن السير خلف الحضارة الغربية – في رأيهم – وفي وقت وصلت هذه الحضارة إلى الشيخوخة، سيما وأن الاتحاديين قد قرؤوا للمفكرين أراء، ترى الحـضارة الغربيـة في طورهـا الأخير، وأن أوربا انتهت من تمثل دورها التاريخي، وأنه لا يمكن قيام حركة جديدة بعد الآن إلا من الـشرق. واستمر الصراع بين الفئات الاجتماعية والسياسية المثقفة في الجزائر من جهة، وبين الإدارة الفرنسية من جهـة أخرى، فكان ذلك أخطر مرحلة تاريخية في الحياة الدينية والثقافية في الجزائر. فالجزائر لم تكـن قـد عرفـت الصراع إلا بعد الحرب العالمية الأولى بالنظر إلى التمعات الإسلامية الشرقية التي عرفت الظاهرة منـذ الربـع الأخير من القرن التاسع عشر تحت تأثير ودعوة المصلحين

---

(1) مجلة الشهاب -- عدد 147 – 18 ماي 1928 ص:2
(2) مجلة الشهاب -- عدد 148 – 18 ماي 1928 ص: 3
(3) – مجلة الشهاب – عدد 152 – 21 جوان 1928 – ص: 9

أمثال أحمد خان (*) في الهند، وجمال الدين الأفغاني في كل من المشرق الإسلامي ومحمـد عبده ، والصراع الذي كان قائما بين المصلحين والتقليديين والمحافظين لم يصل في أي بلد إسلامي إلى الحد الذي بلغه في الجزائر، وذلك راجع إلى التناقضات الاجتماعية والسياسية والثقافيـة الـتي عرفتها الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي.كانت نتيجة هذا الصراع المـذهبي و العقائـدي قـد اكتسب طابعا سياسيا لأن الإدارة المحلية لم تبق محايدة أمام هذه الخصومة الدينية وكانت ترى أن تدخلها في هذه القضية قد يهدأ من هذه الحركة الإسلامية .أما السلطات الفرنسية كانت تـرى إبقاء الوضع جامدا في البلاد وذلك لتنفيذ خطتها أي السياسة الاستعمارية الفرنسيـة لاحـتلال الجزائر. ولكن من حسن الحظ أن الجزائر رزقت برجال مصلحين حالوا دون ذلك ويمكن تلخيص المؤثرات الإصلاحية الخارجية والداخلية على أفكار المثقفين الجزائريين فيما يلي:

1 - التأثر بأفكار المصلحين المسلمين ولاسيما الأفغاني والشيخ محمد عبده وغيرهما والذين دعوا المسلمين في مـشارق المعمـورة ومغاربـا إلى الرجـوع إلـــى منـابع الإسـلام الصـافيةالصحيحة [1].

2 - الإعتماد على ما تنشره مجلة المنار وكتب المصلحين الدينيين أمثال ابن تميـة، ابـن القـيم وغيرهما من رجال الدين [2].

3 -وقع الحرب في نفوس الجماهير الجزائرية وانحطاط المقدسات الوهمية في نظر كثير من الناس[3]

4 - عودة أبناء الجزائريين المصلحين من الحجاز و بلاد الشرق.

---

* أحمد خان (يوسف) 1817 -1898م مفكر إسلامي، قام بنشر أفكاره الإصلاحية في الشرق العربي

(1) الشيخ البشير الإبراهيمي – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين ، المطبعة الجزائرية الإسلامية – قسنطينة ـ ص : 34

(2) نفس المصدر ص 40

(3) نفس المصدر ص 41

ثانيا: الحركة الوطنية الجزائرية قبل ميلاد جمعية علماء المسلمين الجزائريين.

ظهر اتجاهان في الحركة الإصلاحية الجزائرية ، اتجاه محافظ بزعامة الأمير خالـد * وعبـد الحليم بن سماية ، وعبد القادر الحجاوي ** وكانت دعوتم معارضة الأفكار الغربيـة وتجنـيس الجزائريين بالجنسية الفرنسية والتجنيد الإجباري ، كما أن هذا الاتجاه يدعو إلى البقاء على المبادئ الإسلامية والتعليم العربي، والقيم القديمة ، أما الاتجاه الثاني الذي كان تحت سيطرة بعض المثقفين الجزائريين بالثقافة الغربية ، من أمثال الدكتور ابن التومي وأحمد بن اسماعيل بوضربه ، فقد كانوا يدعون إلى تجنيس الجزائريين بالجنسية الفرنسية ، مع الاحتفاظ بالأحوال الشخصية كمـسلمين، كما يطالب هذا الاتجاه الحكومة الفرنسية بإعطاء الحقوق السياسية والمدنية للشعب الجزائري.

ففي بداية القرن العشرين ظهرت تيارات سياسية وإصلاحية تـدعوا إلى المـساواة بـين الجزائريين والأوروبيين، لكنها لم تكن منظمة تحت أي حزب ، إلا أنا تراجعت بعد نا ية الحرب الأولى ، وعند عودة الـندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي إلى وطنهم يحملون عبء أول حركة سياسة منظمة بقيادة الأمير خالد [1] .

فخلال الحرب العالمية الأولى جرت أحداث عالمية كان لها أثر على الجزائريين، ومن بينها الثورة الروسية سنة 1917، ففكر الجزائريون في الثورة على فرنسا ، تلك الأحداث التي كان لهـا تأثير على الجزائريين الذين كانوا على وعي بدورهم السياسي، ومن بين هؤلاء "الأمير خالد" الذي كان يحس نبض مواطنيه ، ويستفسر عن نواياهم، وهل كانوا مستعدين للقيام بحركة سياسية تجعل الحكومة الفرنسية تنفذ وعودها لتحرير الجزائـر، إلا أنه وجد فراغا سيـ ـ ـاسيا واضـحا في القيادة .

---

*هو خالد بن هشام بن الأمير عبد القادر الجزائري ، ولد بدمشق حوالي سنة 1875 ودرس با المرحلة الابتدائية ثم درس في المدرسة العسكرية بباريس ، حيث تخرج ضابط ، وعمل في الجندية العسكرية ، حوالي 23 سنة ، نال خلالها رتبة (كابتان).

** من الزعماء السياسيين في الجزائر

(1) أنظر مجلة الشهاب – الجزء الحادي عشر – فيفري 1936 ص : 623

ثالثا : ظهور فكرة إنشاء جمعية علماء المسلمين الجزائريين

كلما برزغ شخص في العلوم الدينية، وفي إدراك مقاصد اللغة وأسرارها وضروب البلاغة، كلما اقترن اسمه بلقب العالم [1] إذ أصبح العالم في الجزائر يهتم بالشؤون الدينية التقليدية ، وأصبح يخوض غمار الحياة السياسية والاجتماعية في البلاد ، ومن هنا نجد مفهوم العلماء في الجزائر لا يختلف عنه في الأقطار العربية الأخرى ، وهكذا أصبحت عبارة العلماء في الجزائر تعنى أولئك الجزائريين المثقفين ، وهذا يبين بشكل واضح سياسيا ووطنيا عنصرين في البلاد هما : الثقافة العربية والشخصية الوطنية .

برز علماء الجزائر إلى الوجود بعد الحرب العالمية الأولى ، فحركة "ابن باديس" التعليمية تعود إلى سنوات ما قبل الحرب ((حين كان المصلحون من رعيل آخر، يخوضون في المسائل العقلية و الاجتماعية))[2] .

و أصل هذه الحركة ترجع إلى الجامعة الإسلامية التي ظهرت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بالمشرق ، ومؤسسيها الأوائل "جمال الدين الأفغاني " والشيخ " محمد عبده ".

فنجد علماء الجزائريين قد توقفوا عن نشاطهم مهملين ، فهاجر بعضهم إلى الشرق الأدنى، أو إلى تونس والمغرب ، أما آخرون فقد بقوا في الجزائر، ولما كان هؤلاء العلماء الذين فضلوا البقاء في وطنهم يشعرون بالغربة في ديارهم ((وطموحين من أجل المعرفة والزعامة فإنم قد أصبحوا داعين سياسيا، ومصلحين ليبراليين دينيا))[3].

وفي ظل الحرب العالمية الأولى رأت هذه النخبة المثقفة الانحطاط الذي آل إليه الإسلام في الجزائر، ففكروا في تأسيس منظمة إسلامية لإحياء الدين من جديد، فكانت السنوات الأولى لجمعية العلماء المسلمين التي لم يتحقق وجودها إلا في يوم 5 ماي 1931م .

---

(1) مجلة الشهاب – م :6 – الجزء 11 – ديسمبر 1930 ص 694

(2) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية - 1900– 1930 – ديوان المطبوعات الجامعية ص 439

(3) المرجع نفسه – ص 439

وبعدما وضعت الحروب أوزارها عاد المثقفون الجزائريون من مواطن الهجرة إلى الجزائر، إلا " ابن باديس " بقى في قسنطسنة و "الإبراهيمي " في سطيف و " العقبي " في بسكرة، و أخـذوا ينشرون المذهب الجديد الذي تأثروا به، وفي سنة 1924 كاتب " ابن باديس" الشيخ " الإبراهيمي " وأوصى إليه بإنشاء جمعية العلماء . ويكون مركزها مدينة قسنطينة ، جمعية تجمع شمل الطلبـة والعلماء، وشرح له مبادئها وأسسها، وأن يضع لها دستورا ، واتفق الرجلان على ترجمة دسـتور الجمعية إلى اللغة الفرنسية، وتقديمه إلى الإدارة الفرنسية [1] ثم دعوة العلماء في المؤتمر التأسيـسي ، على أن يكون جميع أعضائها من قسنطينة، ثم عاود الرجوع إلى قسنطينة ، وعرض الفكرة علـى زملائه الذين وافقوا على القانون الأساسي ، بعد أن قاموا بتعديلات صغيرة في مواده ، وتعطـل المشروع نتيجة لوقوع حوادث حسب رأي "الإبراهيمي" [2] وفي سنة 1925 برزت نقطة حاسمـة في تطبيق فكرة الإصلاح الذي أخذ الطابع النظامي ، و أخذ العلماء المصلحون في نشر وجهـات نظرهم ، و يعرفون مبادئ برنامجهم الديني والاجتماعي و الثقافي، ونشرت جريدة الـشهاب [3] نداء دعت فيه كافة علماء القطر الجزائري للاتصال ببعضهم من اجل معرفة مختلف الآراء بـهدف تأسيس (حزب ديني) أو (جمعية دينية) تدافع عن الإسلام، فأخذت تدعو إلى التعارف على أساس التآلف والاتحاد شرط النجاح، وذلك من اجل تأسيس حزب ديني والغرض من ذلك تطهير الدين الإسلامي مما ألصقوا به من خرفات و أوهام، و ما كان عليه من الحقد الأجنبي .

وعند اكتمال العدد الكافي من الموقعين على تأسيس هذه الجمعية الدينية، تلقت هذا النـداء أقلام المصلحين بالقبول والإجابة عنه ، ونذكر من بين الذين تقدموا بآرائهم حول هذا الموضوع، الشيخ "المولود بن الصديق الأزهري" الذي بعث إلى الشهاب برسالة تحت عنوان(تأسيس حـزب ديني إصلاحي) ورحب بفكرة إنشائه ، وشرح الدور الذي يقوم به في محاربة البدع والخرفـات، ومن خدمة لمعالجة الأمراض الاجتماعية المتفشية في أوساط المسلمين الجزائريين.

---

(1) الشيخ الإبراهيمي – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – ص 46

(2) المرجع نفسه – ص 47

(3) جريدة الشهاب – العدد 3 – نوفمبر 1925 – ص 5

ونورد بعض العناصر التي يتضمنها المشروع لهذه الجمعية :

1/ وضع قانون أساسي تحدد فيه أعمال الحزب ، ويكون محترما من قبل الهيئات الأخرى، وينشر في الجرائد بقصد إطلاع الجمهور على مواده.

2/ أن يكون من أصول هذا القانون ، تمويل ميزانية الحزب بما يجمع من الزكاة ، بكل صنوفها من الجمهور.

3/ إنشاء مدارس ابتدائية وكتاتيب قرآنية لتعليم الأطفال اللغتين الفرنسية والعربية.

4/ نشرالدعوة الإصلاحية الدينية بين طبقات الأمة، بطبع الكتب الخاصة لهـذا العـرض ونـشر الـلات العلمية و الدينية، ومحاضرات أخلاقية وخطب منبرية ، مع توسيع دائرة الوعظ والإرشـاد بالطرق العلمية الحديثة.

5/ أبعاد الحزب من المسائل السياسية، والتي من شأنا أن تعرقل نشاطه في إصلاح الـتمع .

6/ اعتراف لهذا الحزب لجميع الحقوق التي تتمتع با الأحـزاب الدينيـة الأخـرى المـسيحية واليهودية....إلخ.

وهكذا أصبحت الصحف تتحدث عن فكرة تأسيس جمعية للأمة الإسلامية في الجزائر، إن إنشاء جمعية دينية تعمل على تدعيم النهضة العربية والإسلامية ، هذه الأفكار لها تأثير على الفكر الإسلامي في الجزائر، وفي هذه الفترة أي خلال سنوات العشرينات من القرن العـشرين، كـان المصلحون أثناءها يبحثون على المناهج لتطبيق الإصلاح ، ويحاولون إيجاد صفة إلى إنشاء الصحافة

العربية، فتأسست جريدة "النجاح الحرة" سنة 1919 ثم بعد ذلك تلتها جريدة "المنتقد" سنة 1925 وفي نفس العام 1925 أسست جريدة "الشهاب" لصاحبها الشيخ "عبد الحميد بن باديس" وكانت جميعها بقسنطينة.

ثم جريدة "الإصلاح" التي أسست ببسكرة سنة 1926 ، تنشر أفكار الشيخ "الطيب العقبي" ودعوته الإصلاحية ثم نجد جريدة "الشهاب" التي تحولت إلى مجلة سنة 1929 ، فقد استلمت قيادة الحركة من أول يوم، وبجانب هذه الحركة العلمية كانت هناك حركة تسايرها وتؤازرها، وتعتد با وهي حركة التعليم النشيطة، إذ بدأ الشباب يتهافت على الدروس العلمية، كما كان لهـا دروس الوغط والإرشاد.

عرفت البلاد خلال عقد العشرينيات نهضة أدبية وعلمية ودينية، ولا ننسى تأسيس النـوادي والجمعيات المختلفة فالحياة الدينية تمثلت في تشييد المساجد بأموال الشعب، في مختلـف القـرى والمدن الجزائرية.

أما الجانب السياسي يتمثل في التفكير الجاد و الاعتماد علـى الـنفس، أمـا في الـ ـال الاقتصادي فهناك تنافس بين المعمرين، وشعور بأن ثروة البلاد الحقيقيـة ظلـت حكـرا علـى الفرنسيين.

إن الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى تميزت بظاهرين أساسيين، الظاهرة الأولى تتمثـل في نهضة الجماهير المسلمة، واهتمام بالمسائل السياسية الجزائرية ، والظاهرة الثانية تتمثل في ظهور نمو الحركة الإصلاحية الإسلامية.

رابعا : اتحاد العلماء المصلحين وتأسيس الجمعية

1 ـ تأسيس جمعية علماء المسلمين

جاء في مجلة "الشهاب" وجريدة النجاح نداء إلى علماء الجزائر مفاده : علــى مؤســسي "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" ،أن يدفعوا ألف فرنك ، كما كتب 'أحمد توفيق المدني' بخــط يده مائة وعشرين دعوة بغية عقد اجتماع في العاصمة بنادي الشرقي * لتأسيس (جمعية العلمــاء) فمنهم من لب الدعوة ومنهم من اعتذر ، وعينوا للرئاسة المؤقتة (أبا يعلا الزواوي) وللكتابة (محمد الأمين العمودي) ، وضع القانون الأساسي وتلاه كتاب الجلسة على الحاضرين وفي اليوم نفسه تم انتخاب (الهيئة الإدارية).

وهكذا برزت جمعية العلماء إلى الوجود في الخامس من شهر مايو سنة 1931 وقد اتخذت مقرا لها في بداية تكوينها "نادي الترقي" الذي تأسس بالعاصمة في عام 1926 فكانت تعقد فيــه اجتماعاتا و تقيم مؤتمراتا السنوية، وتمارس فيه نشاطها العام.

نادي الترقي – مركز ثقافي في الجزائر العاصمة

وتولى رئاستها منذ البداية الشيخ 'عبد الحميد بن باديس' الذي انتخبه زملاؤه بالاجتماع في غيبته ، وتولى نيابة الرئاسة الشيخ 'البشير الإبراهيمي'، الذي استمر يشغل هذا المنصب إلى أن توفي الشيخ 'ابن باديس' في 16 أبريل سنة 1940 أثناء الحرب العالمية الثانية فانتخبه أعضاء الجمعية في غيبته بالإجماع،لرئاستها وهو في منفاه في أفلو بالجنوب الجزائري.

وهكذا انتخب رئيسا الجمعية في كل مرة غيابيا وبإجماع أصوات الأعضاء وقد استمر الشيخ 'البشيرالإبراهيمي '، يشتغل هذا المنصب حتى حلت الجمعية بعد قيام ثورة نوفمبر سنة 1954 وذلك في عام 1956. ويقول الشيخ 'البشير الإبراهيمي' أنه "لو تأخر ظهور جمعية العلماء عشرين سنة أخرى لما وجدنا في الجزائر من سيسمع صوتنا" [1].

وقد تقاسم المسئولون الكبار في الجمعية العمل في المراكز الجزائرية الحيوية، ووزعوا مسؤولية العمل فيها، تولى الرئيس 'ابن باديس' مسؤولية العمل في مدينة قسنطينة وعمالتها. وتولى الشيخ 'الطيب العقيبي' نائب الأمين العام للجمعية مسؤولية العمل في العاصمة وعمالتها. كما أنه تولى الشيخ 'البشير الإبراهيمي' نائب الرئيس مسؤولية العمل في وهران وعمالتها على أن تكون إقامته في مدينة تلمسان لا في مدينة وهران ، كما نجد تم انتخاب الأمانة المال الأستاذ 'مبارك الميلي' ، والأستاذ ' إبراهيمي بيوض ' مساعدا له، وباقي الأعضاء للاستشارة و العصونية، ونجد الهيئة الإدارية قد قررت في أول جلسة لها ترجمة القانون الأساسي إلى الفرنسية ، وتم تقديمه إلى الحكومة الفرنسية ليتم المصادقة عليها، وبعد انتهاء عمل اللجنة التحضيرية تم إقامة حفلة على شرف الضيوف من أعضاء الجمعية الدينية وجماعة من النواب والأهالي وهيئة إدارة النادي ، و تم توجيه الدعوة أيضا إلى مدير الشؤون الأهلية الذي اعتذر من الحضور .

والهدف من هذه الحفلة و ما يراد به هو إطلاع الرأي العام الجزائري و الأوروبي على إنشاء الجمعية و أهميتها في التمع.

وقد كان انتخاب اللس الإداري والذي لم يتم بطريقة ديمقراطية، لأن فئة المصلحين الددين كانوا حريصين على إبعاد القطاعات الدينية الأخرى نظرا للصراع بينهم وبين المحافظين التقليديين وذلك خوفا من أداء رسالة الإصلاح.

---

(1) البشير الإبراهيمي ـ سجل مؤتمر الجمعية ـ ص : 48

و نجد أن العلماء المصلحين الذين كانوا يحملون لواء حركة الإصلاحية قد عزموا على إنقاذ البلاد من التسلط (أي تسلط أرباب الزوايا ورحال الطـرق الـصوفية المتعـاونين مـع الإدارة الاستعمارية ، فنجد المناصب الهامة في الجمعية ثم استنادها إلى المصلحين وتم غياب 'ابن باديس' في أول يوم عن الاجتماع وعدم حضوره يرجع إلى أنـه كـان يـرفض رئاسـة هـذه الجمعيـة لاعتبـارات معينة من بينهـا " أنه كان يفكر في موقف والده وهو عمدة من عمد الحكومة الواهين" (1) .

و ابن باديس في أول خطاب له بعد انتخابه رئيسا للجمعية يقول : ((أنني كرست حياتي للتعليم، وهذا هدف من أهداف الجمعية))(2) . وأضاف أنه من دعاة التسامح مع كل الاتجاهات.

اختير عبد الحميد بن باديس رئيسا للجمعية في غيابه وأصبح العنصر الفعال في الجمعية ، و أخذ في عمله إرساء قواعد الإصلاح وتنظيم خطته، وذلك لإحباط مشاريع فرنسا. لكنـها لم تتفطن لخطورته ظنها مثله مثل الفقهاء الآخرين ، و المتتبع لنشاط الجمعية منذ الثلاثينيات يجـد أن شخصية ابن باديس هي المحور الأساسي لأعمال الجمعية، وبعد تشكيل الهيئة الإدارية و انتخاب "ابن باديس" الرئيس قدم القانون الأساسي إلى الحكومة، فصادقت عليه ، بعد خمسة عشر يومـا، اشتمل القانون الأساسي للجمعية على أربعة وعشرين فصلا نذكر منها (3) .

الفصل الأول الذي ينص علىأن الجمعية تأسست في عاصمة الجزائر، وهي جمعية إرشادية تذيبية تحت اسم "جمعية العلماء". وجاء في الفصل الثالث : لا يسمح لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية . وفي الفصل الرابع : القصد من هذه الجمعيـة هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والفجور ، وكل ما يحرمه الشرع ، وينكره العقل ، و تحجزه القوانين الجاري با العمل.

---

(1) – مجلة الشهاب – مجلة (7) - ماي 1931 – ص :341-342

(2) ا أحمد توفيق المدني – حياة كفاح – المنظمة الإسلامية ـ القسم الثاني – ص 179

(3) مجلة الشهاب – مجلد (7) – جوان 1931 – ص 351

2 ـ أهداف الجمعية

هدف الجمعية الأساسي هو إصلاح المجتمع الجزائري،و بناء أمة كريمة ، لأنها جاءت لإصلاح شؤون الفرد في المعتقد والسلوك من جهة ، وإصلاح الأسرة والمجتمع من جهة أخرى، وذلك عمـلا بالمبدإ القرآني والسنة ،واقتحمت جمعية العلماء منذ تأسيسها ميدان الحرب محفوف بالمزالق والأخطار ، فحاربت أول مــا حاربت أنصار الاستعمــار، وقــاومت وحطمت البدع، ثم أخــذت في الحملة التعليمية ، إذا وفقها الله إلى تكوين ذلك الجيل الصالح الذي أخرجته مدارسها ، و الذي هــو اليوم قوة العروبة و الإسلام في البلاد . و قد كتب الكثير عن أهداف " جمعية العلمــاء " بعــضهم حصرها في تعليم العربية ومحاربة الخرافات وتطهير الإسلام مما علق به من الشوائب، خلال العــصور المتأخرة ، بينما ذهب بعضهم إلى ربطها بالنشاط السياسي، و معاداة الاستعمار .

فقد لخصت جريدة (لسان العرب) أهداف الجمعية سنة 1947 في عنصرين هما : إحياء ما أندثر من معالم الإسلام، وإحياء ما مات من مظاهر اللغة العربية ، أما " ابن باديس " فيرى الغرض من إنشائها هو أن تأسيس " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " هو محاربة الخرفات والشعوذة التي عمت البلاد بسبب الطرقية والطرقيين. [1] .

ولعل أشمل تعريف لأهداف الجمعية لخصه أحد أعضائها بقوله (كانت أهــداف جمعيــة العلماء تتمثل في أحياء الإسلام بإحياء الكتاب والسنة ، وإحياء العربية وآدابا، وإحيــاء التــاريخ الإسلامي ، وآثار رجاله المخلصين) [2] .

يمكن تخليص مبادئها و أهدافها بصفة مفصلة بعض الشيء من الفقرات التي ننقلــها مــن مقال كتبه رئيسها الثاني " الشيخ البشير الابراهيمي " بعد وفاة " ابن باديس " في جريدة (البصائر) لسان حال جمعية العلماء تحت عنوان "جمعية العلماء موقفها مع السياسة " والذي يقول فيه: ((إن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده وتفهم حقائقه، و إحياء آدابه وتاريخــه، وتطالــب بتسليم مساجده وأوقافه إلى أهله)) و استدرك يقول للاستعمار .

---

(1) مجلة الشهاب – مجلد (7) – الجزء السادس – جوان 1931 – ص 351

(2) د. أبو القاسم سعد الله – الحركة الوطنية الجزائرية – الجزء الثالث – ص 90

* ونطالبك باستقلال قضاته

*و تسمي عدوانك على الإسلام، ولسانه و معابده، و قضائه، عدوانا بصريح اللفظ

* و نطالبك بحرية التعليم العربي،

* و تدافع الجمعية لإحياء اللغة العربية و آدابا و تاريخها في موطن عربي ، وبين قوم من العرب.

* و تعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا.

* تذكر المسلمين الذين يبلغهم صوتا بحقائق دينهم ، وسير أعلامهم و أمجاد تاريخهم

* تعمل لتمكين أخوة الإسلام بين المسلمين كلهم))[1] .

وقد قامت هذه الجمعية كرد فعل للسياسية الفرنسية التي أرادت تنصير الجزائـر ، وإلحاقهـا لكيانا و حضارتا اللاتينية ، وراء البحر المتوسط في القارة الأوروبية ، ولذلك فالجمعية بـذلت جهدا كبيرا لإحياء اللغة العربية ، التي كادت تندثر من الجزائر، و قاومت نشاط التبشير المسيحي، ثم العمل بكل وسيلة على إحباط سياسة الاندماج، والتجنيس الذي يدعو إليه بعض الجزائريين.

قال " ابن باديس " :

((أيها الشعب أنك بعلمك العظيم الشريف ، برهنت على أنك شعب محب للحرية هائم با، تلك الحرية التي ما فارقت قلوبنا منذ كنا الحاملين للوائها ، وسوف نعرف في المستقبل كيف نعمل لها وكيف نحيا لأجلها ، إننا مددنا إلى الحكومة الفرنسية أيدينا وفتحنا قلوبنا ، فإن مدت إلينا يـدها وملأت بالحب قلبها ، فهو المراد وأن ضيعت فرنسا فرصتها هذه فأبت تقبض أيدينـ ـ ـا وتغلق قلوبنـ ـ ـا فلا نفتحها إلى الأبد ، أيها الشعب ، لقد عملت ، و أنت في أول عملك ، فاعمـل ودم على العمل ، وحافظ على النظام ، و أعلم أن عملك هذا على جلاله ما هو إلا خطوة و وثبة وراء ها خطوات ووثبات ، وبعدها إما الحياة وأما الممات)) [2] .

---

(1) جريدة البصاير ـ العدد الثالث – ص:14

(2) الشهاب – الجزء الخامس – ماي 1934- ص 261

أما بالنسبة عن دعوة الجمعية الثقافية و الاجتماعية كما حددها "عبد الحميد بن باديس " :

1 - الإسلام هو دين الله الذي وضعه هداية لعباده و أرسل به جميع رسله .

2 – الإسلام هو دين البشرية الذي لا تسعد إلا به وذلك لأن :

أ - يدعو إلى الأخوة الإسلامية بين جميع المسلمين .

ب – يسوي في الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألـوان للأدلـة التالية :

1 – لأنه يفرض العدل فرضا بين جميع الناس بلا أدنى تمييز .

2 – يدعو إلى الإحسان العام .

3 – يمجد العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير .

4 – يترك لأهل كل دين دينهم يفهمونه ويطبقونه .

5 – يحرم الاستعباد و الجبروت بجميع وجوهه [1] .

هنا يعرض الشيخ "عبد الحميد بن باديس " ويبين أن قيمة الإسلام من حيث هو رسـالة ذات مضامين إنسانية ، تناولت جوانب الحياة وعالجت كل مشكلات البشرية .

ونجد أن الفقه الإسلامي يقسم الديار بالنسبة للمسلمين إلى ثلاث ديـار : دار الإسـلام ونقصد بها أرض ذات حدود جغرافية ، يعيش فوقها أغلبية المسلمين ، في إطـار الدولـة . ودار المعاهدة وهي كل دولة أو جماعة من الناس عقدت مع المسلمين عهدا أو ذمة . ودار حرب و التي

تبيت الشر و الاعتداء على أي جزء من أقطار المسلمين ، وفي هذا الإطار يصف الله سـبحان الله وتعالى المسلمين فيقول "إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) [1]

3 ـ الجمعية والأدب :

لقد لعب المصلحون من اعضاء الجمعية دورا هاما في بعث الحركة الأدبية مع احياء الفكر الجزائري الحديث ، وأشهروا سلاحهم في وجه المحاولات الاستعمارية الرامية إلى تجريد الجزائـرين من كل ما يمت لهم بصلة تجعلهم يعتزون بويتهم ، ويفخرون بانتمـائـهم للعروبة والإسلام .

(1) ـ المرجع السابق ـ ص : 270

وقد كان منهجهم في ذلك استعمال الحجة لدحر كل المزاعم وإيصـال الفكر بأبـسط الوسائل إلى النـاس ، وتكـون الفـائدة المرجوة أكيدة ، ومن هنا " تجد المصلحين يطورون في اتجاه الفكر الجزائري الحديث فيطالبون بالدليل في كل شيء ، وعلى كل شيء ، ويهبطون بالفكر والثقافة من أعلى البروج ، إلى أسفل الدرجات ، لتصبح الثقافة في خدمة الناس"[1] وبذا بـدأت نضة الأدب ، وأخذ نجمه يسطع بعد أفول طويل .

ولقد كان هذا الاهتمام من قبلهم اهتماما جادا ، لأنم لم يكونوا يأخذون بزمام الكلمـة ليعبروا عن أي قضية ، إنما بقدر ما كانت قضيتهم سامية وأهدافهم نبيلة ، بقـدر مـا كانـت مواضيعهم بنفس هذا المستوى من الرقي لأن " أصحابه لم يكونـوا سـلبيين ، لا يعنـون إلا بالذاتية، والعواطف الجامحة ، والموضوعات الرخيصة، بل إنم اتخذوا من اللفظة الجميلـة سـلاحا يحاربون به الرذيلة والفساد" [2].

إن النظرة التي كانت تقول إن الجمعية وأعضاءها وأدباءها لم يكونوا يعنون إلا بالمواضيع الدينيـة من أجل الوعظ والإصلاح ، قد فندت ، ذلك لأن الشيخ "ابن باديس" ، و"الإبراهيـمي"، و "آل خليفة " ، و "أحمد رضـا حوحو" ، وغيرهم ، لديهم من الأعمال الأدبية ما يؤكد ذلك .

---

(1) محمد الطمار – تاريخ الأدب الجزائري –ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – ص 371

(2) تركي رابح – التعليم القومي والشخصية الوطنية – ص 204

4 ـ نضـال الجمعية السيـاسي :

تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أهم المنظمات الوطنية التي كافحت بـصلابة عن مقومات الشخصية الجزائرية ، وقاومت نشاط هيئات التبشير المسيحي ، التي كانت تعمل على تنصير الجزائريين ، اعتمدت الجمعية على صحفها ، ومدارسها ، ونواديها ومساجدها التي أنشأتا في طول البلاد وعرضها ، على توجيه الشعب الجزائري توجيها عربيا إسلاميا ، يتفق مع مقومات الشخصية القومية للجزائر، وبذلك"ساهمت مساهمة كبيرة في القضاء على سياسة التجنس والإدماج والفرنسة والتنصير التي كانت إدارة الاحتلال الفرنسي تسعى إلى تحقيق ذلك بكل قوة" [1] .

جمعية العلماء المسلمين حركة إصلاحية سلفية من جهة ، ولكنها حركة قوميـة جزائريـة تطالب للجزائر بالمحافظة على صبغتها الإسلامية العربية ، كما كان نضالها في سبيل تربية الشعب وتنظيمه ، نضالا في السر والعلانية ، هذا من أجل أن ينهض لمقاومة الاحتلال ، وتحرير الجزائر ، وضمها إلى الأسرة العربية الكبرى .

يقول محمد " البشير الإبراهيمي " ، في حديثه عن مشوار نضال الجمعية المتعدد الجوانـب

" جمعيةعلماء هي التي حققت للجزائري نسبه العربي الصريح ، بريئا من شوائب الإغتراب والهجنة وأحيت في نفسه شعور الاعتزاز بنفسه ، وفي لسانه شعور الاعتزاز والكرامة للغته ، وفي ضـميره شعور الارتباط بين ثلاث مقومات : الجنس ، واللغة ، والوطن " [2] .

من هنا يتبين أن للجمعية مسارا ذهبيا ، ونضالا مستفيضا ، حيث لم تجف أقلام شيوخها ، ولم تخفت أصوات حناجر معلميها عن الصدح بالحق ، ومقاومة المحتل ، وإيقاظ همم الـشعب ، والدفاع عن كل مقاليد هويته ومقوماته .

---

(1) المرجع السابق – ص 205

(2) البصائر – العدد 2 – السنة الأولى– 1 أغسطس سنة 1947 – ص 1

5 - مراكز جمعية علماء المسلمين الجزائريين

أ – الصحافـــة:

الصحافة تتطلب مجهودات و خصال حميدة من أصحابها الإصلاحيين حتى تؤدي رسالتها في المجتمع، و لما كان هدف العلماء المصلحين في الجزائرهو إصلاح المجتمع من كل جوانبه فقد اتخذوا من الصحافة وسيلة أساسية منذ 1925 لنشر أفكارهم. وعندما تأسست جمعية العلماء سنة 1931 جعلت الصحافة وسيلة لنشر أفكارها و مبادئها ودعواتها و أهدافها بين الجزائريين ، وسلاحا خطيرا تستخدمه ضد خصومها من الإدارة الاستعمارية .

ولما جاء القانون في حق إصدار الصحف ، سارعت نخبة من العلماء بتأثير من الشيخ "ابن باديس" إلى إنشاء جريدة " المنتقد " سنة 1925، وفي السنة نفسها أسس " ابن باديس " جريدة (الشهاب) و فيها تطرح حلول لمشاكل كثيرة من مشاكل العصر الذي عاش فيه " ابن باديس " حتى المسائل الإنسانية (1) .

وكتب فيها الكثير من الرجال المصلحين فاختص" أحمد توفيق المدني " بالكتابة عن المجتمع الجزائري والشعر السياسي (2) والمقالات الإصلاحية لـ "محمد السعيد الزاهري " ، و بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين أصدرت قرارا لها سنة 1933 بتخصيص جزء من "الشهاب" تنشر فيها خطبها و فتاويها و محاضراتها، أما نشراتها الإدارية فتعطى لجميع الصحف الدورية (كالشريعة المحمدية) (السنة النبوية) (الصراط السري) لكن السلطات الفرنسية سارعت إلى منع هذه الصحف فأوقفت " الشريعة المحمدية " ثم " السنة النبوية " وفي الأخير " الصراط السري" (3).

وفي سنة 1935 أسست الجمعية جريدة (البصائر) والتي كانت تحمل راية البيان العربي بشمال أفريقيا ، و تكافح من أجل إحياء اللغة العربية، وكانت الجمعية أيضا عن طريق الصحافة تحارب الطرق الصوفية ، و السلطات الفرنسية ، إلا أن الإدارة الفرنسية كانت توقف كل صحيفة تشك في لهجتها أو اتجاهها العام .

---

(1) أنظر جريدة البصائر عدد 77 – 25 أفريل 1949

(2) المرجع نفسه – ص 21

(3) أنظر الشهاب – المجلد العاشر – الجزء التاسع – أوت 1934 – ص 377

فقد تعطلت جميع الجرائد والمجلات باسم الجمعية وباسم أعضائها ، ولم تظهر في الوجـود سوى صحيفة (الإصلاح) الذي أعاد إصدارها "العقبي الطيب " وجريدة (الوفـاق) الـتي كـان يصدرها الشيخ " الزاهري "[1].

ب ـ المساجد

لم يكن المسجد محلا للتعبد فقط ، إذ كان مدرسة لمحاربة و مكافحة الأمية ، شرح " ابن باديس " أهمية المسجد في مقال له فقال : (إذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم فإن العامـة التي تنتاب تلك المساجد تكون من العلم على خط وافر، و تكون منها طبقة مثقفة الفكر صحيحة العقدة ، وبصيرة بالدين [2] .

اتخذت الجمعية أداة فعالة التربية العامة و تعليمها، ومن أهم المساجد التي كانـت مراكـز إشعاع حضري فسـاهم في تطوير العقلية الجزائرية ، "المـسجد الكبيـ ـ ـر" بـسيدي عبـد الرحمـ ـان بالعاصمة . فكان عدد الطلبة في "الجامع " وحده سنة 1936 تقدر بثلاثمائة طالـب ، فرأى ابن باديس أن تؤسس كلية التعليم الديني لتخريج فقهاء يعلمون الأمة أمر دينـها. واتخـذ العلماء في المساجد طريقة السلف (الوعظ و الإرشاد) ، ينشرون سيرة الرسول (صلع) و سـيرة الصحابة ثم سير حملة السنة في أقوالهم و أفعالهم .

جـ ـ المـدارس

لما كانت قادة الجمعية منذ البدء يدركون أن الشعب الجاهل لا يمكنـه الحـصول علـى استقلاله، اتخذوا من المدرسة أداة رئيسية لمحاربة الاستعمار ، و رأى " ابن باديس " أن التعليم أهم سلاح للوقوف في وجه المعمر أما " مصالي الحاج " ورفقاؤه يعتقدون أن النضال الـسياسي هـو اقرب طريقة لاسترجاع الوطن من قبضة المغتصب .

وقد وصف الشيخ " البشير الإبراهيمي " المدرسة بأنها جنة الدنيا، وكل الشعب لا تبنى له المدارس تبنى له السجون . كما كانت التربية والتعليم عاملين أساسين في تحقيق الشخصية القومية للجماعة ، وأول مدرسة أسستها الجمعي "مدرسة التربية والتعليم" بقسنطينة سنة 1936 ومدرسة "الشبيبة الإسلامية" بالجزائر ومدرسة "تهذيب البنين" بمدينة تبسة .

---

(1) مجلة الشهاب – المجلد السادس – الجزء الحادي عشر – ديسمبر 1930 – ص 692

(2) المرجع السابق – ص 693

جاءت مدارس العلماء المصلحين كرد فعل للمدارس الاستعمارية التي تريد هدم المقومات الاستعمارية، وذلك بتعليمهم آداب الغربيين ولغتهم، وهذا مثال آخر لأحد القواد الفرنسيين الذين كانوا يعبرون عن أهداف فرنسـا الحقيقية في الجزائر ((علموا لغتنا و انشروها حتى نحكم الجزائر ، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة)) [1].

بعد ظهور الجمعية في ميدان التعليم انتشرت بين المسلمين الجزائريين رغبة ملحة إلى العلم، و الغاية من ذلك خدمة العلم و الوطن و الدين ، وحثوا الكبار والصغار، والبنين والبنات على التعليم ، وذلك من أجل الوقوف في وجه الحضارة الغربية ، كما دعت المعلمين في المدارس الابتدائية و الثانوية إلى تعليم الأطفال (التاريخ الإسلامي)، و سعت الجمعية إلى توسيع دائرة إنشاء مكاتب حرة للتعليم المكتبي للصغار، و تنظيم دروس في الوعظ و الإرشاد الديني في المساجد ، و محاضرات في التفسير و الحديث و الفقه و العقائد و الأدب و المواعظ و المنطق والنحو و الإنشاء و الحساب و الجغرافية و التاريخ و محفوظات و البلاغة و المطالعة .

في سنة 1937 عقد مؤتمر للأساتذة ومعلمي المدارس العربية الحرة بنادي الترقي بهدف تبادل الآراء، بخصوص التعليم في المدارس والمساجد ، من أجل توحيد المناهج وطرق التدريس الخاصة بالتعليم العربي.

وطلب رئيس الجمعية من الأساتذة تقديم آرائهم واقتراحاتم وفق الخطة التي وضعتها الجمعية في الإصلاح و النهوض بالمتمع .

لقد حققت الجمعية نجاحا كبيرا في مجال التعليم، وأحدثت الفزع والرعب في نفوس أعدائها وخصومها. فجهود الجمعية في الال التعلم مر بأربعة مراحل هي:

(1) جريدة البصائر – عدد 47 – 11 ديسمبر 1936 – ص 5

المرحلة الأولى (1931 – 1939) مرحلة البناء والتاسيس .

المرحلة الثانية (1939 – 1944) فترة الحرب العالمية الثانية .

المرحلة الثالثة (1944 – 1956) في هذه المرحلة توقف نشاط الجمعية نتيجة نشوب ثورة أول مـن نوفمبر سنة 1954 ، وقامت سلطات الاحتلال بحل كل المنظمات و الجمعيات الوطنية .

المرحلة الرابعة من 1956 إلى فجر الاستقلال 1962.

ورغم الرقابة المشددة على مؤسسات الجمعية ، إبان الإحتلال ظلـت المـدارس تـؤدي رسالتها التعليمية ، وهيئت وسائل خاصة لتوحيد مناهج التعليم (1).

وإذا كانت جهود جمعية العلماء في الميدان التربية والتعليم واجهت معارضـة شـديدة ، فكانت موضع إعجاب وتقدير من مثل بعض الفرنسيين ، نذكر منهم الأستاذ "جاك مادول"(2) إذ يقول ((أغرب شيء رأيته واستوجب دهشتي الشديدة ، هو أن اللغة العربية التي هي لغة الأغلبية العظمى من سكان القطر الجزائر تعتبر لغة أجنبية ، وهذا هو الأمر الذي جعل المسلمين من رجال جمعية العلماء وغيرهم و بمجهوداتم الخاصة ، وعلى حسابم تعليم الأمة لغتها)) [3] .

من هنا تقدير جهود الجمعية في نشر التعليم وتكوين المدارس ، لأن المدرسة كما اعترفت الإدارة الفرنسية الاستعمارية في الجزائر ، أصبحت نواة ليس لها مثيل للتدخل في تطـور الحركـة الوطنية .

---

(1) ـ وسائل توحيد مناهج التعليم :

1 - أسلوب التعليم ،

2 - أسلوب تربية النشاط ،

3 - تأليف كتب تتفق مع الروح الجزائرية ،

4 - رآهم في تعليم البنت المسلمة و وسائل تحقيقه ،

5 - رأيهم في الوسيلة التي تعيد با المرأة المسلمة سيرة سلفها من تلقي العلم ،

(2) ـ أستاذ في التاريخ زار الجزائر ضمن وفد فرنسي سنة 1954

(3) ـ د- رابح تركي – التعليم القومي والشخصية الوطنية - ص 232

د ـ النوادي

كان الجزائريون منذ أن وطأت أقدام المحتلين الفرنسيين أرض الجزائر، يجهلون الاجتماعات حيث أن القوانين الفرنسية (الأنديجينا) كانت تحرم الاجتماعات *.

وبحلول القرن العشرين أصبح الشعور قويا بضرورة تأسيس أندية عربية في البلاد ، هـذه النوادي ستساعد الشباب على تكوين علاقات جديدة على نشر الوعي والثقافة ، من أهم هـذه النوادي وأهمها نادي " الترقي" بالعاصمة (1) وأصبح النادي نقطة إلتقاء المثقفين وبه تسربت إلى نفوسهم دعوة " القومية العربية الإسلامية " وأصبح مركز الاحتفـالات والمحاضـرات ، وفيـه وضعت البذرة الصالحة للنهضة الجزائرية لكي تخرج إلى حيز التنفيذ.

واعتبرت الجمعية المساجد والمدارس همزة وصل بينها وبين النوادي، لأن هناك أعداد هائلة من الشباب الجزائريين لم تجد الجمعية أية وسيلة لتعليم المبادئ الإسلامية - والثقافة العربية، إلا في تلك النوادي .

كان الشباب يجد في تلك النوادي مختلف أشكال الثقافة الدينية ، و الاجتماعية ، والرياضية عـن طريق المحاضرات و الدروس وتوعية الجيل الجديد على الاشتراكات التي يدفعها أعضاؤها مـن جهـة ، وأرباح بيع المشروبات من جهة ، و كانت تخصص جزء من دخلها السنوي وتنفقه علـى المـدارس و النوادي التي تقع في حوزتا ، حتى تتمكن من أداء رسالتها في نشر التعليم العربي.

و نظرا لأهمية النوادي في أداء دورها في نشر العلم، فأزعجت السلطات الاستعمارية الـتي أخذت في محاربة النوادي ، فمنعتها و ذلك من طرف وزير الداخلية الفرنسي .

واعتبرت الجمعية هذه العملية ما هي إلا شل للحركة الوطنية ، وما هذه العملية إلا ضرب للغـة العربية والثقافة القومية ، وعرقلة الحركة الإصلاحية التي تقودها جمعية العلماء المضادة لأهداف الإستعمار.

---

* قانون (اندجينا) هو مجموعة من النظم والأوامر يطبقها الضباط والحكام والعسكريون والمدنيون على الرعايـا الجزائـريين، والأفارقة الشماليين، الذين لم يرتقوا إلى مستوى الاندماج مع كيان فرنسا ، وكان هؤلاء يحاكمون أمام محاكم إدارية خاصة و كانت عقوبات القانون القاسية تسلط عليهم.

(1) في سنة 1940 أضيف إلى اسم نادي الترقي عنوان آخر وهو (الجمعية الفرنسية للوفاق الجزائري)

6 - الجمعية والمسرح

لقد تزامن الحركة الإصلاحية مع شيوع أنواع من التمثيل في الجزائر لمحاربة الطرقية والزوايا ، وذلك بتقديم عروض مسرحية في المناسبات كالأعياد وحفلات الزواج والختان ، ولكن – الحركة الإصلاحية – أضعفت من انتشار هذا اللون من المسرح ، خاصة ما كان له صلة بالشعوذة وما كان يجري فيها من حركات ، وما تنشره من أوهام وخرافات تستعين فيها بالتمثيل، ودعوة المريدين للالتفاف حول (الشيخ الولي) .

ومقابل رفضها لهذا النوع ، فقد شجعت من المسرحيات ما تسعى إلى توعية الشعوب وجعلها " تبحث عن جذورها وانتمائها ، وتسعى إلى إثارة النصرة القومية في نفوس أبنائها ، فتعود إلى ما فيها تستلهمه ، وتكشف عن الفترات المضيئة ، تستهدف من ذلك إثارة الحمية في النفوس وبعث الشعور القومي الكامن في أعماق الناس " [1] .

ولعل أبرز مسرحية جسدت هذا المسار هي مسرحية "بلال " للشاعر محمد العيد آل خليفة، التي عدها ' أبو العيد دودو "نقطة تحول في تاريخ المسرح الجزائري ، لا لأنا أول عمل شعري متكامل في هذا المجال فحسب ، وإنما لأنا قد عبرت أيضا عن اتجاه جديد تجلى في مضمونا التاريخي إلى جانب الناحية الدينية والتربوية " [2]، وقد مثلت هذه المسرحية في مدارس الجمعية ، إلى جانب مسرحيات أخرى على نمطها تتناول شخصيات تاريخية وعربية وإسلامية رائدة ، تؤدى بمناسبة الأعياد ، ونهاية موسم الدراسة ، فقد كانت الجمعية تستعين بالمسرح مثلما استعانت بوسائل أخرى لنشر أفكارها وبث مبادئها بين الجماهير الجزائرية وتوعيتهم بواقعهم التاريخي العربي الإسلامي .

ولم يطبع آنذاك من هذه المسرحيات سوى مسرحية "حنبعل" لتوفيق المدني التي وجدت إقبالا حين مثلت ، في هذه المسرحية لم يعن الكاتب بالجانب الفني عنايته بالجانب القومي السياسي والتاريخي ، وظلت مسرحية (حنبعل) رائدة في مجالها وموضوعها ، وفي محتواها في فترة عز فيها هذا اللون من

(1) البصائر – عدد 270 – 7 ماي 1954 ص 1

(2) د. عبد الله الركيبي – تطور النثر الجزائري الحديث 1830 – 1974 – المنضمة العربية للتربية والثقافـة – 1976 – معهد البحوث والدراسات العربية – ص 213

المسرحيات الأدبية المكتوبـة بلغة عربيـة فصحـى راقيـة جميلة " [1].

وقد كتبت مسرحيات في اتجاهات أخرى مثل الاتجاه الاجتماعي ، والاتجاه الثوري النضالي ،ومهما يكن ، فقد خاضت المسرحية باللغتين الفصحى والدارجة مسارا طويلا، وما زالت كذلك من أجل الرقي إلى مصاف النماذج التي تنير المتمع وترشده " [2] .

رابعا : الإصلاح

أ - تعريفـــه :

تعود كلمة الإصلاح في أصلها اللغوي إلى مادة : ص ، ل ، ح "الصلاح ضد الإفساد " [3] صلح، يصالح ، ويصلح صلاحا وصلوحا ، وهو صالح وصليح ، والجميع صلحاء، وصلـوح ، وصلح: كصلح، رجل صالح في نفسه من قوم صلحـاء ، ومصلح في أعماله وأموره ، وقد أصلحه الله .

ويقول بعض النحويين كابن الجني : أبدلت الياء من الواو إبدالا صالحا ، والإصلاح نقيض الإفساد " [4] . وأصلح الشيء بعد فساده أقامه ، وأصلح الدابة أحسن إليها فصلحت.والمصلحة : الصلاح والمصلحة واحدة المصالح.

"ونقول ، صلح ، يصلح وصلوح رجل صالح في نفسه من قوم صلحاء ومصلح في أعماله وأموره وقد أصلحه الله وأصلح الشيء بعد فساده وأقامه " [4] . ولذلك يصح القول بان الإصلاح هو إعادة الشيء إلى وجهه الأول أو صورته الأصلية و الإصلاح إعادتـه إلى وجهـه الـصحيح والأمثل كما يجب أن يرى عليه وهو المعنى العام للإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي والتعليمي.

---

(1) ـ المرجع السابق – ص 217

(2) ـ عبد الله ركيبي – تطور النثر الجزائري الحديث – ص 218

(3) ـ محمد بن بوبكر الرازي ـ مختار الصحاح ـ دار عين مليلة ـ الجزائر ـ ص : 232

(4) ـ ابن منظور ـ لسان العلرب ـ مادة (ص.ل.ح) ـ دار بيروت ـ ص : 516

(5) ـ المرجع نفسه ـ ص : 517

الحركة الإصلاحية في الجزائر :

كان الاحتلال الفرنسي للجزائر من أجل حرب عقائدية قبل أن يكون من أجـل مغانم تنهب ، لذلك كان اهتمامها الأول منذ أن وطئت أقدام جنودها الجزائر هو إغلاق المساجد والتنكيل بالأئمة وطمس اللغة العربية ، وقد هيأ لذلك كل التدابير المادية والمعنوية والإعلاميـة ، فشوه العقيدة الإسلامية ، وجند لها أتباعا وجنودا "عقيدة شوهتها الأضاليل وسلط عليه المستعمر فجردها من براءتا الأصلية وسخرها لأغراضه وبسط عليها حمايته ورعايته " [1] .

فظهرت الطرقية و انفردوا بشعب ضعيف حيث نشر البلبلة والفوضى في أوساطه وألهاهم عن دينهم الصحيح بأفعال وممارسات ما أنزل الله بها من سلطان ، فأحل زيارة الأضرحة والتبرك بالقبور وأحيا لهم العادات والتقاليد البالية ، وزعموا أنم حملوا على عاتقهم نشر الحضارة والتمدن في الجزائر وخروجهم منها حين يتم ذلك.

"في إطار عقيدة جديدة تلبس مسوح التمدن والحضارة وتحتل عواصم البلاد باسم الدين وتمكنـه من رقاب الشعب ، ومن حريته باسم الأمن والاستقرار " [2] .

وسط هذا الجو المظلم المكفهر ومتاهة مستحيلة المخرج، بزغ نور ضعيف فوق تلك الأجواء آمالا ضعيفة أو مستحيلة التحقق إنه نور الإصلاح ، نور أراد تبديد قاعدة الاستعمار ، وما أفـسده في العقيدة الشريفة.

إنه نور الإصلاح الذي جاء من بلاد المشرق ويمكن القول "إن الإرهاصات الإصلاحية احتضنتهـا عوامل رافدة من الهجرة إلـــى المشرق ، وبرز رواد الإصلاح الدينـــــي في الجزائر ، وهـــم كل من 'الطيب العقبي' ، 'البشير الإبراهيمي' ، و'عبد الحميد بن باديس " [3] .

---

(1) ـ المرجع السابق - ص 13
(2) ـ المرجع نفسه – ص 13
(3) ـ المرجع نفسه - ص 14

وكان لزيارة "محمد عبده " للجزائر سنة 1903 ، وكذلك انعقاد مؤتمر المستشرقين الرابـع عشر سنة 1905 بالجزائر والذي ضم رجال الحركة الوطنية والإصلاحية في الوطن العربي [1].

لذلك فضل كبير في تنوير الشعب ، إنه الفضل الكبير للمشـ ـارقة في إدخـال فكـرة الإصلاح إلـى الجزائر ، والفضل الأكبر لرجال أرادوا الحياة فتبنوا حركة الإصلاح الـتي هـي زورق النجاة .

إن تحويل المساجد إلى كنائس وثكنات عسكرية لجيش الاحتلال ، واسـتنـزاف خـيرات البلاد، أدى بالشعب الجزائري إلى المرض والفقر ، واستبدال العربية بالفرنسية ، هي بواعث قوية إلى الارتماء في أحضان الشرق ، يتنفسون الصعداء في أرجائه الفسيحة ، متمنيين أن يجدوا بداية أو منطلقا لآمالهم البعيدة ، كان الشرق هو الباعث الحقيقي للسعي وراء الإصلاح حيث هو المخرج الوحيد الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور .

وكانت هناك بداية التحدي بين رجال الإصلاح وفرنسا الغاشمة. "وقد بلغ التعلق برواف‍ـد الدعوة والحرص على سلامة وصولها إلى الجزائر مبلغا دفع البعض مستقبلي الإمام محمد عبـده في زيارته للجزائر إلى أن يحملوه رجاءهم الحار بأن لا يذكر فرنسا بسوء في جريدته أو مجلته"المنار"[2]

وإلى جانب روافد المشرق كانت هناك روافد تونسية آتية من الزيتونة ، لهـا دور كـبير وفعال في إلهام روح الثورة والتعبير والسعي وراء الإصـلاحات ، وكيـف لا وورواد الإصـلاح متخرجين منه ، ويشكلون القسم الأكبر في جامع الزيتونة ، وهم أبرز طلاب فيه بحماسهم الشديد وحبهم القوي في استقاء العلم من منهله الحقيقي والصافي حتى يكونوا خير من تعلم العلم وعلمه. "فقد كان الجامع أشبه ما يكون بخلية نحل التي لا يهدأ لها أزيز، وكان الجزائريون يشكلون قسما كبيرا من تلك الخلية " [3] .

---

(1) ـ صالح خرفي – الشعر الجزائري الحديث – ص 142
(2) ـ المرجع نفسه – ص 142
(3) ـ المرجع نفسه – ص 142

وكم كان الحماس كبيرا عند كل من الشعبين في استلهام القوة والشجاعة من بعضهما ، وقد جرى عليهما نفس الاضطهاد ، ورغم ذلك كان لعلماء الزيتونة ورواد النهضة الوطنية صيت كبير في الجزائر، مع العلم أن الذي ضمن الحياة الطويلة للحركة الإصلاحية هو الشعب الجزائـري بفضل تله لأسباب المعرفة ورفضه للجهل والاضطهاد الاستعماري .

خامسا : أنواع الإصلاح :

1 – الإصلاح الديني :

وهو أساس الإصلاح ، فروح المتمع هي القاعدة الأولى لبناء الأمة والفرد ، وهي القاعدة الأولى لبناء الشخصية المسلمة انطلاقا من الاهتمام بالناحية الدينية وتكوين له أساس جديد يقـوم على توحيد الله والإيمان بما جاء به كتابه ، وهو الوقوف أمام أعتى قوى البغي والكيد، الممثلـة في المسيحية الحـ ـاقدة على الإسـلام واليهـ ـودية المتـ ـ ـآمرة عليـه وعلـى المـسلمين ، والاستعمـ ـار الذي يرى في الإسلام العقبة في طريقه نحو تأييد وجوده في هذا الوطن .

2 - الإصلاح الاجتماعي :

وهو الذي يختلف كثيرا عن الإصلاح الديني ويعتبر بلورة جديدة للحياة الاجتماعية للفرد الجزائري وفق مبادئ الإسلام مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورات الحياة المعاصرة .

وبعبارة أخرى أن أعمدة الجزائر من رجال الدين والإصلاح على يقين تام أنه لا وجـود للإنسان على وجـ ـه البسيطة دون التربيـة والإصـلاح ، فيقبـل علـى إصـلاح حالتـه الاجتمـ ـاعية الخـ ـاوية على عروشها ، فليس فيها ما يشجع على الحياة أو الإقبال عليهـا ،

وقد جعلت فرنسا منة المصلحين الجزائريين مساسا لها في الذهاب والإياب ولذلك ثـارت ثـائرة جنود الإسلام وعمدت إلى انقلاب في الحياة الاجتماعية أساسها العقيدة الإسلامية .

3 - الإصلاح التربوي التعليمي :

يعتبر الإصلاح التربوي نتيجة حتمية لازمة تتبع الإصلاح الديني والاجتماعي فلا يكتمل إلا بإزالة غمامة الجهل ، وهو بعث الثقافة العربية في بلد تفرض القوانين الفرنسية دمجه الكلي بفرنسا وتتولى المدرسة الفرنسية وحدها مهمة نشر التعليم فيه .

التعليم : إنا كلمة استقطبت الكثير من الاهتمام من طرف فرنسا وجعلت منه شغلها الـشاغل ، وقد رأت في تمسك الشعب الجزائري بلغته تمسكا بدينه فيصعب عليه مجابته حينـها فخاضـت سياستين كلتاهما يسوقها إلى ما ترجوه ، وهو محو الشخصية الجزائرية ، فالأولى كانـت سياسـة التجهيل التي كانت من نصيب الفقراء ، وقد منعوا من أخذ أسباب العلم لفقرهم ، وفرنسا سبب إفقارهم . والثانية هي فرنسة الشريحة المتبقية التي كان لها الحق في جزء من التعليم ، وليس حبـا فيها وإنما حبا في محو كلمة الله من قلوبم وشيء اسمه العقيدة ، لكي تحطم هرم يدعى 'الشخصية الجزائرية'.

إلا أن إصرار الاستعمار الذي أبى إلا أن يقضي على الجزائر وعروبتها والثقافة والحـضارة الإسلامية واجهه إصرار شعبي عارم للحفاظ على تلك الثقافة والحضارة الإسلامية العريقـة مـن طرف الحركة الإصلاحية.

إنا حركة إصلاحية قوية من رجال أقوياء ، حيث ساهمت جزيل المساهمة في نشر الثقافـة العربية ، وقد صنعت رجالا صنعوا التاريخ " فالجزائر لم تكن شيئا كبيرا قبـل ظهـور حركـة الإصلاح التي امتشقت الأقلام ، وفتحت القرائح ، وصقلت المواهب وربت العبقريات الأدبية التي برزت في صحفها " [1] . إنا نوع من التحدي البشري الذي قام في وجه قوى الظلـم والقهـر والاستعباد ، قامت لتحيي عروق الشعب الجزائري بغذاء العلم والعقيدة الإسلامية.

---

(1) عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص 75

الفصــل الثالــث

الإصلاح والمسرح

يعتبر الإصلاح الغيث الذي جاء من بعيد ليغسل السواد الذي كان مخيما على كل البشر من ذلك الوطن الجريح ، وكما هو معلوم أن الإصلاح لم يقتصر على المجال الديني ، بل تعداه إلى المجالات الأخرى ، وخاصة منها المجالات الفكرية والأدبية بشتى أنواعها، لقد شارك المسرح في الرسالة الإصلاحية من قريب أو بعيد ، حيث ساهم في استنهاض الهمم الخاملة والذمم الدنيئة والسعي وراء العزة والكرامة ، لذلك الشعب الأبي ، والمسرح منذ مراحله الأولى سعى إلى إبراز الصورة الحقيقية لواقع الحياة الجزائرية بجميع طبقاته والصعود به إلى الكمال اجتماعيا وفكريا [1] .

وكانت للأدباء والمفكرين إنتاجات مكثفة في هذا الصدد ، وجادت قرائح أقلامهم في موضوعات شتى لبناء الكيان الجزائري ومعالجة الأمراض الاجتماعية والسياسية والدينية ، والحالة المزرية لديهم ، ومن أجل ذلك قاموا بتكوين فرق مسرحية متجولة تستقطب اهتمام الرأي العام بالقضية الجزائرية ، وتندد بالأعمال الوحشية التي تمارس في أوساط الشعب الجزائري من قبل السلطات الاستعمارية .

ومن الفرق التي كرست نفسها لذلك فرقة أنشأها 'مصطفى كاتب' وقدم مسرحيات في بعض البلدان العربية وابرز فيها الدور الذي لعبه الجزائريون في استرجاع الكيان والعزة والحرية [2] .

وبعبارة أدق فالمسرح كان إلى جانب الفرد الجزائري حتى يذكره متى نسي معالم و أسس عقيدته الأولى وماضية ، ومن نسي ماضيه فلا حاضر له ، واحتفاظا على الماضي وأملا في حاضر جديد وإضافة إلى هذه المدة الطويلة التي أقامتها فرنسا في الجزائر، استعمار حاول طيلة وجوده أن ينسى شعبه أمجاده حتى يسهل عليه إدماجه في أسرته الأجنبية ، ولهذا كان المسرح بالمرصاد إثر تلك الدعوات الإدماجية وخاصة بعد ظهور الحركة الإصلاحية التي غيرت مجرى التاريخ في الجزائر بعد ما كان الخمول يسود كل البلاد.

---

(1) محمد طمار – تاريخ الأدب الجزائري – ص 481

(2) المرجع نفسه – ص 482

كان ذلك بعد تفطن الحركة الإصلاحية لأسلوب فرنسا في محاربة الجزائر، إذ كانت تحارب فرنسا بنفس وسيلتها أي الناحية الفكرية، ومن الأساليب الإصلاحية للمسرح أنه "يختار فتـرات تاريخية وشخصيات عربية إسلامية لعبت دورا رائعا ورائدا في النضال والتـضحية"(1) وعرضـها خاصة في المناسبات الدينية.

"والمسرحية إذ كان اتجاهها تاريخيا أو اجتماعا أو ثوريا أو غير ذلك ، فهـدفها الأول هـو الإصلاح فقد كان همه الوحيد هو توعية المواطنين بواقعهم من خلال التاريخ العربي الإسلامي"(2).

فمسرحية 'بلال بن رباح ' للشاعر محمد العيد آل خليفة التي تصور لنا مدى معاناة العظماء في سبيل إعلاء كلمة الحق ، ولا يخافون لومة لائم في قول الحق تجاه عقيدة المولى رب العـالمين، مركزة على قوة الصبر وعدم اليأس أمام الاضطهاد الذي عاناه من الكفار . "ويدعو بذلك الشعب الجزائري إلى اقتفاء أثر الأسلاف "(3) .

وهذا ما أكده أيضا 'عبد الرحمن الجيلالي' من خلال مسرحية 'المولد والهجرة'. كما أننـا سنتناول أمثلة مسرحية عديدة بالدراسة والتحليل من بينها مسرحية (رواية الثلاثة) للشيخ 'البشير الإبراهيمي'.

---

(1) ـ عبد الله الركيبي ـ تطور النثر الجزائري الحديث ـ ص 218

(2) ـ المرجع نفسه – ص 218

(3) ـ المرجع نفسه – ص 218

نماذج إصلاحية في المسرح :

أ – مسرحية بلال بن رباح لشاعر محمد العيد آل خليفة

أول ما يستدعي انتباهنا أن مسرحية ' بلال بن باح ' للشاعر 'محمد العيد آل خليفة' * وهـي أول مسرحية تاريخية شعرية ، وموضوع هذه المسرحية من التاريخ الإسلامي ، فمن خلال قراءة المقدمة نجد أن غرض المؤلف هو أن يهدي هذه المسرحية إلى الشباب حامل راية الكفاح في سبيل حريـة الأمة وشرف الوطن .

وقد مثلت لأول مرة بمدينة باتنة بمناسبة المولد النبوي الشريف سـنة 1939 المـيلادي الموافق لسنة 1357 الهجري ، يحاول المؤلف أن يجسد فيها شخصية الصحابي الجليل"بلال بـن رباح" الذي تحمل من التعذيب في سبيل عقيدته ومبادئه ما لم يتحمل سوى القليل من المـؤمنين الذين أذاقهم كفار قريش ألوانا من التعذيب والتنكيل في سبيل التخلي عـن عقيـدتهم الجديـدة والتنصل من مبادئها الإسلامية التي آمنوا بها بعد أن وجدوا فيها ثورة على الأوضـاع الجاهليـة السابقة ، ويتجلى هدف المؤلف في إبراز صورة المؤمنين في سابق عهدهم ،وهم يواجهون الأعداء بمزايا أخلاقية عالية ، كالتحلي بالصبر والإرادة القوية ،والنضال من أجل حماية المبـادئ والقـيم الإسلامية.

وإحياء هذه الصورة في تلك المرحلة الصعبة من حياة المجتمع الجزائري كان يقصد به دعوة الناس للإقتداء بالسلف الصالح من المسلمين الذين رغم قلتهم وقفوا في عناد وصبر ضد زمـرة المـشركين ، وانتصروا عليهم وما كان عليهم وعلى الجزائريين أن يتمثلوا هذه الصورة لكي يقتدوا بها مـن أجـل النضال ضد الاستعمار الذي ما انفك يرهب الجزائريين بقوته المادية ، يرعب من تسول له نفسه الوقوف ضد فرنسا،فمن هذه الناحية جاءت المسرحية تعزيزا للمبدإ الذي يجعل الحق بجانـب الفئـة القليلـة المظلومة،شريطة أن تكون هذه الفئة مسلحة بالإيمان القوي وبالإرادة الصلبة وبالمبادئ الراسخة ، وهـو المبدأ الذي تجسده مصادر المؤلف الدينية منها القرآن الكريم ، الذي يقول:

---

* ولد محمد العيد آل خليفة في مدينة عين البيضاء في 28 آوت 1948 (27 جمادي الأولى 1323 هـ ـ) انتقل مع أسرته إلى بسكرة 1918، وفي سنة 1921 ذهب لتونس ليتابع دروسه بجامع الزيتونة ، ثم رجـع 1923 إلى بـسكرة وسـاهم في الانبعاث الفكري ،في شتى المجلات والجرائد ، ثم ألقي عليه القبض من طرف السلطات الفرنسية والإقامة الجبرية ببسكرة وقد جادت قريحته بديوان شعري على مستوى رفيع.

< *وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين* > [1] والجدير بالذكر أن بعض النقاد، عدوا هذه المسرحية أول نواة شعرية استلهم فيها التاريخ العربي الإسلامي ، بل أن الدكتور أبو العيد دودو عد هذا العمل بشيء من التحفظ نقطة تحول في تاريخ المسرح الجزائري، لا لأنها أول عمل شعري متكامل في هذا المجال فحسب ، وإنما فقد عبرت أيضا عن اتجاه جديد تجلى في مضمونها التاريخي إلى جانب الناحية الدينية ، ولعل اهتمام هؤلاء الكتاب بهذه المسرحية يعود إلى إعجابهم بلغة الكاتب القوية المتفجرة ، خاصة لأن مؤلفها "محمد العيد" كان من فحول الشعراء الجزائريين ، غير أنه صاغ قصة هذا البطل التاريخي صياغة شعرية جيدة مؤثرة ، تبعث على التعاطف مع البطل ومع مواقفه الصلبة التي لم تتزعزع رغم الهوان الذي لحق به على أيدي أعدائه ، فمن هذه الناحية يحس المرء وهو يقرأ هذه المسرحية بقيمة المبادئ وقيمة الحرية وعظمة الرجال ، الذين يكابدون للوصول إلى أهدافهم ، وإذا كان هذا الأمر كافيا في تلك المرحلة التاريخية الحرجة من تاريخ الجزائر ، فإننا نحتفظ في وصفها بأنها من المسرحيات التي جاد صاحبها في استمالة عواطف الناس إلى ما يريده بالإضافة إلى قيمتها التاريخية والتعليمية التي كانت الباعث الأول والأساسي لكتابة مثل هذه المسرحيات.

أما من حيث رؤية المؤلف السياسية فقد انحصرت إلى حد بعيد في أفق ضيق ، غير قادر على تجاوز مواقف " بلال " و أغنائها بالرموز الحسية التابعة من العصر والمتطلعة إلى المستقبل وقد يرجع هذا إلى القيود الشعرية التي غالبا ما تحد من حرية الكاتب ، ولا تسمح له بالتحرك الواسع داخل عمله الفني.

ومع ذلك تبقى المسرحية كغيرها من المسرحيات تبحث عن البطل المثالي والشخصية التاريخية المتميزة بالمبادئ والمواقف لتنسج حولها موضوعها، يستهدف منه الكاتب إبراز القدرة الحسنة لإثارة النفوس وحملها على الاعتناق المبادئ الإسلامية والتضحية في سبيلها، اقتداء بالسلف الصالح [2] .

---

(1) ـ سورة البقرة – الآية 249

(2) ـ نصر الدين صابيان – اتجاهات المسرح العربي في الجزائر من 1945-1980- ص 164

ب – مسرحية المولد النبوي لعبد الرحمان الجيلالي :

وبعد فترة من ظهور مسرحية "بلال " طبعت في الجزائر مـسرحية جديـدة عـام 1949 للكاتب الشيخ عبد الرحمان الجيلالي* وقد اختار المؤلف لهذه المسرحية عنوان ' المولـد النبـوي' وقامت بتمثيلها فرقة "محي الدين بش تارزي" سنة 1951 غير أنا لم تحقق نجاحا كبيرا على خشبة المسرح ، ويبدو لنا إخفاق هذه الفرقة في التمثيل يعود إلى عدم تعودها في مثل هذه الأدوار الجادة الملتزمة بخط مسرحي رومانسي خال من الروح الاجتماعية الشعبية التي كانت تمثل المحور الأساسي في مسرحيات "باش تارزي" هذا بالإضافة إلى اللغة العربية الفصيحة المعتمدة على صـنوف مـن البيان القوي ، حتى على الممثلين أنفسهم الذين تعدوا اللغة العربية الخفيفة في تمثيلهم .

أما أحداث هذه المسرحية فتدور في بلاد الفرس ، وبالتحديد في قصر "كسرى " أنـو شـروان وتقوم على فكرة واحدة هي الإرهاصات التي سبقت ميلاد النبي – محمد عليه الصلاة والسلام – وقد ركز المؤلف بشكل خاص على أحوال " كسرى أنو شروان "، واضطراباته النفسية قبيل مولد الرسول – صل الله عليه وسلم- تبدأ هذه الأحوال عندما رأى "كسرى " في منامه رؤية أزعجته فقام مذعورا من فراشه وراح يستشير الكهنة ومفسري الأحلام ، فعلم بأنا تدور حـول مولـد رجل عظيم ، ويركز المؤلف في هذا الـال على حادثة تصدع قصر "كسرى" وغور الماء في بحيرة " طبريا " وخمود النار المقدسة لأول مرة منذ ألف عام ، ويصور من خلال هذه الأحـداث حـيرة الملك والتماسه لتفسير هذه الأسرار الغامضة والألغاز المحيرة، ثم ينتقل المؤلف بأحداث المسرحية من

---

* عبد الرحمان الجيلالي (1908) عالم وفقيه ومؤرخ جزائري

بلاد الفرس إلى بلاد العرب ولكنه لم يخرج بأحداث المسرحية عند إظهارحالة النـاس وما مـن أخبـار عن إرهـاصـات النبوة وقرب ظهـور مولد من صلب" عبـد المطلـب " تـستمر المسرحية في إظهار ما كان عليه الناس من أحوال ينتظرون صدق هذه الإرهاصات حـتى تنتـهي أحداث المسرحية بالموقف الذي يدور فيه الحوار بين الناس حول انتشار نور عظيم في ليلـة مـن الليالي مولد النبي محمد (ص) بن عبد الله بن عبد المطلب .

وهكذا استطاع المؤلف أن يعود بالقارئ إلى ما قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسـلم في أجزاء مثيرة، وهي مواقف مصيرية حاسمة، غير أن المؤلف لم يقم فكرته هاته على عقدة يحرص من خلالها على شد الجمهور وربطه بالأحداث لمعرفة الحلول ، فبقيت أحداث المسرحية بعيدة عـن المواصفات والشروط الفنية التي ينبغي توفرها في المسرحية ، ومن ثم تكون العقدة ، لذلك كانـت لا تختلف كثيرا عن القصص التي وردت في كتب السيرة النبوية حول هذا الموضوع ، فمن هـذه الناحية لا تعدوا المسرحية كونا إعدادا مسرحيا لتلك القصص ، إذا كان المؤلف يرصد الأحداث رصدا دون أن يبرز هدفا سياسيا ما ، سوى الخوض في أفكار تكاد تكون في أحيان كثيرة رجمـا بالغيب لذلك فالمسرحية يمكن أن تشد إليها العوام من الناس أكثر ما تروق المثقفين ، وربما كـان اختياره لهذا الموضوع بالذات يستهدف ولو من بعيد إنذار الاستعمار بقرب نايته ، إذ يمكن ربط ما جاء في المسرحية من إرهاصات النبوة بالإرهاصات العامة من الشعب الجزائري الذي يـستعد للثورة الكبرى على الاستعمار، خاصة أن المؤلف كان يركز على خـضوع أو تـصدع قـصر "كسرى" رمز الطغيان والفساد وعلى خمود ناره المقدسة ثم انتشار نور عظيم في ليلة من الليـالي، وهذا لا تحسبه إلا إسقاطا من الكاتب على الواقع الذي كان يرقبه كل الجزائريين .

ولعل عذره في عدم وضوح رموزه يتصل بالرقابة الاستعمارية التي كانت تحاصر الأفكـار السياسية وتمنع المثقفين من الخوض في الحوادث التاريخية التي تثير وعيا سياسيا لدى الجمهور، ومع ذلك فهذا الأمر لا يكن عذرا إذ لم يكن ليمنحه من دس آرائه دسا في مواقف المـسرحية "ومـن هناك وما وضع " توفيق المدني " في " حنبعل " و" عبد الرحمان ماضوي " في " يوغرطة " ويبـدو لنا أن ضعف المسرحية وتغليبه الجـانب الديني الرد على الواقع بحكم كونه رجل دين قبـل أن يكـون رجل أدب وفن" [1] .

ومن هنا اتسمت هذه المسرحية بالأسلوب العربي القديم الذي لا يناسب الكتابة المسرحية كمـا اتسمت بحشد العبارات الفخمة الجزلة فهي أسلوب عاطفي إنشائي فيه زخرف لفظـي وخاصـة السجع كقوله "يا معشر بني قحطان و أخبركم بالحق والبيان ".

(1) عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – ص 75

وكقوله أيضا "يا طارق ولد النبي الصادق بوحي ناطق "(1) .

وهكذا يبدو أن المسرحية الدينية كانت أكثر التحاقا بالأسلوب الوعظي الإرشادي وأقـل احتكاكا بالواقع السياسي للبلاد،إذ كان أصحابا يستهدفون غايات دينية أكثر منها سياسة.

فالأفكار السياسية لم تكون تلوح إلا من بعيد وهي لا تكاد تكشف عن نفسها في خضم عواطف الكاتب الدينية ومواقفه التمجيدية والإشادة بالسلف الصالح .

وعلى الرغم من كثرة المسرحيات الدينية التي كانت تمثل ذكريات المولد النبوي الـشريف فإن نصوصها أصبحت اليوم في حكم المفقودة للأسباب ذكرنا بعضها سابقا.

وردت حديث حول الحركة المسرحية التي قامت في أربعينيات بـوهران علـى "منظمـة أحباب الكتاب " وكانت هذه المنظمة تعمل على جلب الكتب والـلات من الشرق العربي وتقوم بالأنشطة الثقافية المختلفة كالأشراف على المحاضرات والعروض المسرحية ، وجلب أكـبر عـدد ممكن من الطلبة والشباب عامة لنشر الوعي ، وكان بجانب هذه المنظمة فرع يـسمى (أحبـاب الطلبة) يقوم بجمع التبرعات من طرف الميسورين من الطلبة ، ثم ذكر فرق مـسرحية أخـرى في مدينة تلمسان كفرقة الهلال وفرقة الراشدية وفرقة أخرى تابعة لمدرسة " دار الحديث " التي كانت تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين، وهي بالذات التي مثلت عدة مسرحيات دينية منها مسرحية " الخنساء " ومسرحية " الناشئة المهاجرة " ومسرحية " حليمة مرضعة النبي "(2) .

" إن هذه المسرحيات كانت تاريخية دينية ، تعرض جوانب من التاريخ العربي الإسلامي ، وهي تعليمية تثقيفية تدف إلى تعلم التاريخ والتزويد بالقناعات الدينية الإسلامية الـتي حاربـا الاستعمار " (3) .

---

(1)- المسرحية ص40

(2)- المسرحية ص 76

(3) ـ نصر الدين صابيان- اتجاهات المسرح العربي في الجزائر من 1945-1980 ص 167

ج – مسرحية الناشئة المهاجرة لمحمد الصالح رمضان :

تدور حوادث هذه المسرحية في مكة المكرمة ، وتقوم على معالجة بعض المواقـف من هجرة النبي صلى عليه وسلم وأصحابه إلى يثرب ، وقد آثر 'محمد الصالح رمضان' أن يجعـل المسرحية في سبعة مشاهد متسلسلة ولم يؤلفها لمجرد الاستزادة في رصيده المسرحي ، وإنما لهـدف أسمى هو الإصلاح ، والمسرحية موجهة إلى الإنسان ليحتكم إلى العقل لأنه يـدرك أن المـسرحية موجهة للإنسـان العـاقل [1] .

وقد استطاع الكاتب أن يصوغ من فكرة الهجرة النبوية صورا مشوقة أودعها في مـشاهد هذه المسرحية التي كتبها إلى التلاميذ الصغار، و تدور حوادث المشهد الأول في دار الندوة ويقوم الحوار على التضييق لدعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والاتفاق على المؤامرة المتمثلة لمقتله.
ويعالج المشهد الثاني توديع أبي بكر لأبنائه وإخبارهم ورغبته في الهجرة إلى يثرب بصحبة النبي عليه السلام،بعد أن كادت به قريش كيدا عظيما وأنهما لا يستغنيان عن مساعدتهم في إمدادهما بالطعام والماء ، ما داما قريبين من مكة.

أما المشهد الثالث فيتمثل في محاصرة دار الرسول الأكرم ، وفشل قريش في قتله،لأن الرجل المحاصر لم يكن في حقيقة الأمر إلا علي ابن أبي طالب في حين أن المشهد الرابع يعالج بحـث أبي جهل وصحبه عن رسول الله وسؤالهم أبناء أبي بكر في يأس .

ويأتي المشهد الخامس الذي يشبه الحشو المسرحي ويجري حواره بين أبي قحافة وأبنائه وقد جـاء يتفقدهم بعد هذه الأحداث التي جرت في مكـة. أمـــا في المـشهد الـسـادس فنشـاهد على بن أبي طالب ، وقد جاء إلى دار أبي بكر يتفقد أبناءه أيضا، كما صـنع أبـو قحافة في المشهد الخامس.

هذان المشهدان يكادان يكونان حشوا مسرحيا محضا ،وليس بعيدا عن دار أبي بكر حـتى نسمع "عبد الله بن أبي بكر" وهو يقرأ على أختيه "أسماء وعائشة" رسالة وردت عليه مـن مكـة محتواها أن الرسول وأبا بكر حلا بيثرب سالمين.

---

(1) عبد المالك مرتاض– فنون النثر الأدبي في الجزائر– ص 227

لقد أراد المؤلف فيما يبدو أن يربي الصغار ويعلمهم كيف تكون التضحية ، وذلـك حـين جعل كثيرا من أبطال مسرحيته من الأطفال الصغار ، وصورهم في أحلام الكبار ووعيهم، فكأنه أراد أن يثبت أن التضحية من أجل المبادئ العظيمة يمكن أن تمتد إلى الصغار أيضا والدليل علـى ذلك مشاركة" أسماء" بنت أبي بكر الصغيرة وغيرها من الأطفال في حوادث هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنجاحها وإحباط جميع خطط المشركين،وما كانوا يكيدون.

ومن الواضح جدا أن" محمد الصالح رمضان" في هذه المسرحية الدينية قد ركز على موقـف قوي في سيرة الرسول الأعظم وهو نجاح الهجرة ، على أن المسلمين كانوا ضـعافا ولكنـهم لم يفشلوا في أمرهم ، ولم يستسلموا لليأس وتعلقوا تعلقا شديدا ، فنهضوا يعملون ويضحون وأدى بم ذلك إلى الهجرة من أجل العقيدة ونصرة الدين ، فالقوة التي آلت إليهم من بعد ذلك لم تكـن هدية من السماء ، وإنما كانت بفضل تضحياتم وشجاعتهم وقوة إيمانم وعمق إخلاصهم للمبدأ.

أما من الناحية التربوية فالغاية التي رمى إليها الكاتب من وراء معالجة هذا الموضوع الـديني الخصب الغني بالعبر والمعاني الكبيرة والأسرار العظيمة ، هي غاية تربوية ولم يرم فيها فحسب إلى إحياء تلك الحوادث لذاتا ، أي لهدف تاريخي بحت بالرغم من محافظته الشديد على وقائع التاريخ المعروفة الخاصة بالسيرة النبوية ، وقد حمله على ذلك أنه كتب المسرحية للأطفال وكان يريـد أن يعلمهم كيف يحفظون جوانب من التاريخ الإسلامي الأول ويلمون با ، بل سـعى إلى تعلمهـم كيف تكون التضحية وكيف يكون الفداء ، وكيف يكون الصبر على الأذى في سبيل الدفاع عن المبدأ ولقد كان الجزائريون في تلك الفترة محتاجين إلى مثل هذه المسرحيات التي تنير لهـم طريـق

الكفاح وتواسي المظلومين منهم وتدعوهم إلى الصبر الجميل والإيمان العميق والثبات الشديد على المبدأ الوطني .

د - *مسرحية " رواية الثلاثة "لبشير الإبراهيمي**

رواية الثلاثة هي أرجوزة أكثرها "لزوم ما يلزم"[1] ، تمثل حالة ثلاثة من الأساتذة، و كان لهم شيخ يقارضونه برا ببر ، و تكرمة بتكرمة، وكان لهم كالوالد يحبونه، يعاملهم بحنـان وعطـف ولطف ، وكانوا يعدون أيام اجتماعهم به ، غرر أعمارهم ينسبون لها الأسباب ، ثم طرق الـدهر بحادث حال بينه وبينهم وبين الناس إلا رسائل تنفض عليها القلوب ما تكن وتودعها العواطف ، ما تجن ، فكان الضن بالثلاثة أنم يجلون في هذا المضمار ، ويسبقون جميع الناس فيه ولكنهم بدلا من ذلك نسوه. وفي هذا الأرجوزة الطويلة، دخل كل واحد من الثلاثة في فصول ومعان، في صور ومجالس يتجاذبون أطراف الحديث عن هذه الزلة التي ارتكبوها ، فألبس الشيخ كل واحـد مـن الثلاثة لبوسا خاصا في كل ما نحله من قول لم يحد عنه طوال الرواية، فجعلها مذهبـة للوحـشة ومجلبة للأنس وأداة للتسلية ،الثلاثة هم 'السعيد بن حافظ' مدير المدرسة للتربية والتعلـيم الحـرة بقسنطينة، والأستاذان 'عبد الحفيظ الجنان' ، و'محمد بن العابد (الجيلالي)' المعلمان بما وشيخهم هو مؤلف الرواية.

كانت الفكرة التي بنيت عليها الرواية أنه لا سبب انقطاع الثلاثة وجفـائهم للـشيخ إلا الفرنك، هنا أعني قيمة طابع البريد الذي يحمل الرسالة إليه ، وهو لا يطمع منهم في أكثر من هذه

الصلة، وكانوا يكثرون في مجالسهم وهم بحكم وظيفتهم يجتمعون دائما ، الحديث عنه والـشوق إليه ويضيقون ذرعا بالرسالة منه تأتي لغيرهم.

ويرى المدير أن العلة للجفاء هو' الفرنك ' وهو عار لحق بالثلاثة مـشتركين، فيجـب أن يغسلوه مشتركين، فهم يجمعون بين أمرين : حب "الشيخ" ، وحـب "الفرنـك "، فـاجتمعوا ليرجحوا أحد الحلين على الآخر، فيكتب استدعاء إلى رفيقه للحضور والمفاوضة في هذا الـشأن الخطير، يصل الاستدعاء من المدير إلى الرفيقين ، .فيعقدون الجلسة الأولى : وخطب الرئيس وصلى على النبي ليبينه للجماعة إلى ما يقربم من الحقيقة براعة استهلال ، وجـاءت مـشكلة رئاسـة الجلسة، ثم حلت برئاسة المدير للجلسة وجاءت الجلسة الثانية والرئيس يحمـل إحـساسا قويـا للوصول إلى عرض المقصود، ووقفت مشكلة 'الفرنك' - ثمن الطابع البريدي - في الطريق وانتهوا في حلها ، ويقتضي أن يتحملوه أثلاثا ولكن الفرنك الملعون لا ينقسم إلى ثلاثة انقسام صحيحة ، فمن ذا يدفع الكسور (السنتيمات) ؟ وهذه مشكلة على حدى والإنصاف النـاقص يقتـضي أن يدفع الفرنك ' محمد بن العابد (المعلم) وحده لأنه أعزب ، وهما متأهلان ولهما أطفال وكـان الرئيس يتمنى الحل الثاني و"الجنان" لا يوافق بسهولة على الحل الأول و"ابن العابد" لا يوافق علـى الحل الثاني فيلتجئ إلى الحل الأول " [1] .

---

* البشير الإبراهيمي هو أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين ، وكان رئيسا لها بعد بن باديس ، وهو من الذين يعتمـد علـيهم في كتابـة المقالات الأدبية والخطابة ، حيث كانت شديدة الحماسة دافئة العاطفة بل حديثها قوي اللهجة مشبعة بالإيمان الشديد بالمبدأ الإصلاحي.

(1) أنظر البشير الإبراهيمي - آثار الإبراهيمي- الجزء الأول – الطبعة الأولى ص 281 - 285

لذلك اقترح عليهما (المدير) من أول الجلسة مسألة الصوتين للرئيس، ثم زيـادة عـضو ليتغلب به على الرفيقين ، وقد عاسره بن العابد (المعلم) معاسرة شديدة في هذا وانتهت مـسألة العضو بموافقة تامة وإعلان الرئيس لإسم العضو المزيد واسمه 'بوشمال' وهو محبوب مـن طـرفهم جميعا.

وبعد انتهاء الجلسة ، كتب الرئيس استدعاء مطولا إلى الأستاذ 'بوشمال' وهو العضو الجديد فجاءت الجلسة الثانية : وحضر 'بو شمال' وكشف الرئيس الغطاء على الحقيقة بعد مقدمة مؤثرة ، فظهر 'الفرنك' في الساقية. فتشتد المناقشة وتقوم الحرب ويكون 'بوشمـال' مـن أنـصار الحـل الأول.إلى أن يأتي المشهد الأخير فيقف ' بن العابد' ويرتجل ذلك الفصل في الدفاع عن فرنكه الذي لا يملك سواه، ويتفنن في وصفه وإطرائه ليبرر ضنانته به ومن أبلغ ما يقول فيه :

أعز عندي من وحيد أمه كل المنى في ضمه وشمـ ـ ـ ـ ـ ـه (1)

ويختم الفصل بنكهة ، يحتم عليه الاعتذار والاعتراف بما وهي أنه عدو للشيخ ...ويصف هذه العداوة أبلغ وصف شارحا بسببها في أبيات منها .

وهل أتاكم – والكذاب يردي - * أني سللت برده منردي

لأنه قد سبني سبا شنيعـا * من بعد ما قد كنت كالحصن المنيع(2)

لقد ترك البشير الإبراهيمي في آثاره القيمة رواية شعرية من أبدع الروايات التي لو نظمت هـذه الرواية في عصور الإقبال على الأدب لطارت كل مطار وتلقاها الرواة والنقلة بما تـستحقه مـن الجلال ، لا يلزم في الروي والقافية ، إلى أمثال سائرة بنت العصر ، إلى حكم وقـصص عربيـة المزاج، وإلى لفظ مثقف ينضح بماء البديـع من جنبـاته مقبولا في السمع، قريب المثـال بعيد المنـال. أمـا موضوعهـا فهو جزائري الجنسية ، أصيل الأهل والنسب ، معروف النشأة والدار ، عربي الروح والفكرة والمزاج ، واقعي الشكل والمحتوى ، ظاهرها هزل ، وباطنـها جد ،

---

(1) محمد البشير الإبراهيمي - آثار الإبراهيمي- الجزء الأول – الطبعة الأولى ص 281 – 285

(2) – الرجع نفسه – ص : 284

رواية شعرية ينـ ـاهز عدد أبياتـ ـا تسع مـ ـائة بيت ، سلك فيـ ـه الـ شاعر طريقـ ـة خاصة نستطيع تسميتها " الطريقة الإبراهيمية " التي نج فيها أصعب السبل ، فمن لزوم ما بحيث تجعل القارئ وكأني به يجول في تلك الرسائل الفريدة النوع ، وتلك القصص المحبذة للنفس الـ ـتي أتحف با الجاحظ الأدب العربي ، وليس من الغريب أن نجد تلك الروح المرحة التي عـ ـرف بـ ـا الجاحظ تتمثل في جاحظ زماننا،ودائرة معارف عالمنا ، البشير الإبراهيمي الذي كفانـ ـا تلخيـ ـصا وتقويما لهذه الرواية المسماة رواية الثلاثة. هي رواية جال فيها جواد البيان من عنانـ ـه ، وقـ ـد تم سياقها في مقدمة كتبها بقلمه وكشف الغطاء با عن خباياها وهناك الستار عن فحواها مما جعل القارئ لايجد أدنى صعوبة لفهم مغزاهاوإن كان قد حث على الاستزادة من التنقيب عن خباياها[1] "هذه أكرمك الله رواية الثلاثة ، وهي أرجوزة أكثرها لزوم ما لا يلزم تمثل حالة ثلاثة من الأساتذة لا يدفعون عن فضل وعن أدب ولا ذكاء ، وما فيهم إلا بعيدا الأثر في الحركة الإصلاحية واسـ ـع الخطى في ميدان تعليم الناشئة وتربيتها "[2] .

فنحن من خلال هذا التعريف الموجز نلحظ أن أبطال هذه الرواية ليسوا من عالم الخيـ ـال وإنما هم من يشار لهم بالبنان ، عرفوا بباعهم الطويل في موكبة الحركة الإصلاحية بتعليم الناشـ ـئة وبناء الجيل الذي لعلعت من ومضاته نفحة الحرية الفيحاء ، كل ذلك كان في قالب التـ ـزم فيـ ـه الشيخ ما لا يلزم ، وهذا القالب أو المنهج لا يركبه إلا من كان حسامه اللغوي حـ ـادا قاطعـ ـا ، والأساتذة الثلاثة التي نطقت على ألسنتهم هذه الرواية هم كما ساهم الشيخ نفسه الشيخ "السعيد بن حافظ" مدير مدرسة التربية والتعليم الحرة بقسنطينة ، والأستاذان " عبد الحفـ ـيظ الجنـ ـان" ، و"محمد بن العابد الجيلالي " ، المعلمان بالمدرسة نفسها ، فأنت عرفت الآن أبطال هذه الرواية فهم من قسنطينـ ـة موطـ ـن الشيخ ابن باديس رئيـ ـس جمعيـ ـ ـة العلمـ ـاء المسلميـ ـن ومؤسسهـ ـا ، وموطن البشير العضو الأول لها والرائد بعد وفاة ابن باديس " [3].

(1) المرجع السابق – ص 84
(2) المرجع نفسه – ص 85
(3) المرجع نفسه - 281

أما الدافع الذي جعل الإبراهيمي ينطق بذه الرواية الواقعية هو ما ظهر من هؤلاء الأصدقاء من جفوة وتناس لأواصر الصداقة والمودة والأخوة لما حكم البين بينهم وعز الوصال ورمت الغربة بالشيخ إلى مدينة " آفلو " الواقعة بالأطلس الصحراوي غرب البلاد ، وذلك أيام الحرب العالميـة الثانية لما نفي الشيخ هناك من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية ، لسبب نشاطه الإصـلاحي ، فكان هذا العامل من العوامل التي دفعت بالشيخ إلى تأليف هذه الرواية ، حيث مما يبدو من حديثه في الرواية أنه كان يعاني الوحدة والعزلة ، وهو بحاجة إلى ما يقوي من معنوياته الـتي دب إليهـا الإنيار ، وكذلك صار بحاجة إلى ما يقوم بطرق الباب عليه كما يقول :"برسائل تنفض عليهـا القلوب ما تكن وتواعها النفوس والعواطف ما تجن، فكان الظن بالثلاثة أنم يجلون في هذا المضمار وسيبقون جميع الناس فيه،ولكنهم بدلا من ذلك نسوه وكأنم في التراب دسوه وقطعـوا حبـل الاتصال الكتابي به البتة " [1] . لا لكونم – أصدقاء الشيخ - لا يعرفون المقـر أو لا يجيـدون الكتابة ، أو لم يخطر لهم الشيخ عن بال كلا، وإنما الغرض هو ذلك الذي أبـدع فيـه الجـاحظ قديمـا وجاء على أثره موليير من بعد فهو لعمري ذاك الداء العضـال الذي يفرق بين المرء وزوجه ، ويقطع أواصر الصداقة بين الصديق وصديقه ، ذاك هو " البخل" .

لا شك أن الوحدة والعزلة وشطط الأهل والصحب والديار كانوا من الأسباب التي جعلته يقول" فألقى الشيطان على لسان الشيخ أو ألقى هو على لسان الشيطان هذه الأرجوزة الطويلـة، ونحل كل واحد من الثلاثة ما يستحقه من فصول ومعاني "[2] .

وهدفه وراء هذا كما يقول "مذهبة للوحشة ومجلبة للأنس وأداة للتسلية"[3] فراح الـشيخ بفضل سراحته الخيالية وتعبئته الفكرية ، وثروته الفكرية ينجز حدثا فريدا من نوعه ويؤلـف لنـا مسرحية هزلية صادقة سامية الهدف بعيدة المرمى، فهو عندما أحس بفقد الصحاب وعرف مـن ذلك نفسية من اعتبرهم أقرب الناس إليه شبوا في رعايتهم وأنلهم من معينة حتى علـم دخائـل نفوسهم وتجلت له بفضائل ذكائه أسباب القطيعة والجفوة والنسيان واهتـدى لـه ، إن سـبب انقطاع الثلاثة عن لشيخ ، إلا " الفرنك " أعني قيمة الطابع البريدي الذي يحمل الرسالة إليـه لا يطمع منهم في أكثر من هذه الصلة وهو في محنته التي هو بما أحوج إلى المقومات المادية.

(1) المرجع السابق ص 281

(2) المرجع نفسه ص 281

(3) مجلة الثقافة العدد 87 السنة 15 شوال ذو القعدة – 1405 ماي – جوان 1985 – ص 345

وكان يبلغه عنهم ما يعتقد فيهم ، وهو أنهم يكثرون الحديث في مجالسهم وهم بحكم وظيفتهم مجتمعون دائما-عنه والشوق إليه،ويضيقون ذرعا بالرسائل منه تأتي لغيرهم- ولكن إذا حدثوا بالكتابة إليه أو حدثتهم أنفسهم جمدت العواطف وجفت الأقلام وجف الريق وانتصب خيال الفرنك اللعين فقضى على كل شيء .وهنا تبرز عقدة المسرحية التي تفنن الشيخ في الارتفاع بها وجعلها تتجلى بين التقدم والحل النهائي ، فأكسب بذلك عمله صبغة مسرحية التي ظهرت بفصولها الثلاثة ، استهلها بالعرض الذي يكون غالبا كتعريف بشخصيات الرواية ، وتمهيد للدخول للأحداث مع إيجاد حالة من التشويش والتطلع والانتظار للحوادث المقبلة ، ولذلك وجب أن تقدم الشخصيات المهمة في وقت مبكر من الفصل الأول ما أمكن ، كما وجب في مرحلة العرض ألا تبرز الشخصيات الثانوية بروزا يستدعي الانتباه ويثير الاهتمام وهذا ما نجح فيه الإبراهيمي ، لأننا لم نر الشخصية الرابعة إلا في " الفصل الأخير" " [(1)] .

وشيخنا قد نجح وخاصة عندما وجدنا أثناء الصراع الذي برز فيه الفرنك كهدف أساسي مما جعل الخصام من حوله يشتد ويتبارى الجميع كما قال الشيخ " فراد ومردود عليه ، وسائل ومجيب ، وهاجم ودافع ، وبان وهادم " وأصبح الحديث بينهم متولد من بعضه حتى بلغ بأحدهم كـ "ابن العابد " أن يذكرنا بتلك الفلسفة التي انتحلها " سهل بن هارون " لما خطب " محمد بن زياد " وبني عمه من آل زياد حين ذموا مذهبه في البخل و تتبعوا كلامه في الكتب ، و كما يذكرنا أيضا في موقف دفاعه عن الفرنك و إطرائه بأقصوصة أمام البخلاء الذي صار يخاطب الدينار و يناجيه ذاكرا ما عاناه من هول وويلات أثناء انتقاله من يد إلى أخرى ، ثم كيف يصل في النهاية إلى جيبه الأمين فيقول له: "أسكن على اسم الله في مكان و لا تذل ولا تزعج منه ، وأنه لم يدخل فيه درهما قط فأخرجه"[(2)]و تسير المسرحية على هذا النمط من الجدل و الدفاع و الرد بالحجج التي لا يلحظها الدليل القاطع ،ولا يعوزها المنطق و البرهان الساطع تحت رنات ابن العابد الذي يقرر نائيا مخاطبا رئيس الجلسة عندما طلب منه فرنكا زائدا لأنه أعرب وزيادة الفرنك هذه لا تكلفه ما تكلف "الجنان" رب العيال ، فتثور ثائرة " ابن العابد " مدليا برأيه النهائي :

---

(1) محمد البشير الإبراهيمي ص : 280

(2) المصدر نفسه – ص 281

(3) مجلة الثقافة اسنة 15 شوال ذو القعدة 1405 ماي – جوان 1985 – الجزائر – ص 347

لمستني في نقطة الإحساس وسمتني في صخرة الأسـاس
ورمت أن أدفع حق "التنبر" في غرض من غرضه أنا بري
قد رمت يا هذا مراما صعبا ملئت منه دهشة و رعبـا
إذا رمتني أن أدفع (الصواردا) وتجتني الشكر الجزيل بـارد
وليس لي منها سوى فـرنك أعددته لحالة ذي ضنـك
فاسمع أحاديث الفرنك مني وأرو غـرائب الغرام عني...[1] .

ويسير على هذا النمط مفصلا قيمة الفرنك ومدى مـا له من نفسه كل ذلك في أسـلوب مرح شفاف يبعث عنه سماعه الضحك عاليا لما فيه من كلمات عامية متداولة كإبر تلسع لما فيهـا من وخز، ونقد جارح يقول الدكتور محمد نجم : (نعتبر الشخصية مصدر تشويق في القصة لعوامل كثيرة، منها أن هناك ميلا طبيعيا عند كل إنسان إلى التحليل النفسي) ودراسة الشخصية [2]،فكل من يميل إلى أن يعرف شيئا من عمل العقل الإنساني،وعن الدوافع والأسباب التي تـدفعنا إلى أن نتصرف تصرفات معينة في الحياة.

فمن هذا المنطق نجد أن شخصيات المسرحية وأبطالها،هم الذين تدور حـولهم الأحـداث وشخصية كل إنسـان مشتقة من عنـاصر أسـاسية مولده وبيئته والظروف التي تعتـرض طريقه ولكل إنسـان بصفة عامة صورتان ، صورة عامة ، وهي الظاهرة ومعروفة للناس جميعا وصورة تظهر إلا لأقرب المقربين إليه [3].

فعلى هذا الأساس فإن الشخصية في المسرح لا تكون لها أية قيمة حتى يتقمـصها الممثـل ويقوم بالدور المقترح عليه بأحسن صورة ، ومن هنا يمكن القول أن الشخصية هـي مـن أهـم العناصر المكونة للمسرحية بالدرجة الأولى.

(1) المسرحية – ص : 41

(2) – المرجع نفسه - ص : 52

(3) عبد المالك مرتاض - وقفة مع الشيخ الإبارهيمي ومسرحية رواية الثلاثة- الثقافة العدد 87 السنة 15 شوال ذو القعدة 1405 مـاي – جوان 1985 – الجزائر – ص 239

"فهي التي يقع عليها السرد،كما يقع عليها الوصف،كما يقع منها أوعليها أو حولها الحوار. فهـي طرف جوهري في مشكلات النص السردي ومكوناته ولكن شأن الشخصيات في تصورنا يكزن أنجح إلى الارتباط بالوصف ، فالوصف يذيبها حتى يدمرها تدميرا،فتصبح باهتة الحركـة شـاحبة الملامح " [1] .

وقبل الغوص في الشخصيات في مسرحية رواية الثلاثة ومحاولة تحديد أدوارها وفعاليتها في المسرحية ، وقبل التعرض لحركاتا من نواحي النماء والتطـور، والـضعف والهبـوط ، وجـب علينـا ذكر شخصيـات المسرحية كأشخـاص أولا وهم كالتـالي : يقول الشيخ البـشير الإبراهيمي :

"... تمثل حالة ثلاثة من الأساتذة ، لا يدفعون عن فضل ولا أدب ذكاء، ومـا فـيهم إلا بعيد الأثر في الحركة الإصلاحية ، واسع الخطى في ميدان تعليم الناشئة وتربيتها" [2] .

أ - الرئيس

هو السعيد بن حافظ مدير مدرسة التربية والتعليم الحرة بقسنطينة يظهر بمظهر المـدير الـذي لم تفارقه رسوم الإدارية في المحافظة على تلك الرسوم حتى في المواقف التي يجب إلغاؤها فيها.

وكذلك هو الخائف الذي لا يلتمس القوة من نفسه، وإنما يلتمسها من غيره ، يسيء الضن بالرفيقين، يحكم عنهما ويحملان له حقدا.

ب - ابن العابـد

وهو يظهر من خلال المسرحية متوقعا للشر والخسارة المالية من وراء هذه الاجتماعات، وهو معارض للرئيس فيما يقول حقا أو باطلا، وهو باذل جهده في إبعاد هذه النكبة وتأخيرها بقـدر الإمكان وهو غير واثقا في صديقه "الجنان" إلى النهاية فيما يرجع إلى النكبة التي يتوقعها، كما نجده مولدا للأعاجيب في موضع السير واقفا بالمرصاد في النقد ما يجب نقده وقد أجاد في كـثير مـن المواضع.

---

(1) المرجع السابق – ص 244

(2) محمد البشير الإبراهيمي – آثار الإبراهيمي ص : 283

فنجد بن العابد تثور ثائرته حين يطلب منه الرئيس دفع الفرنك لوحده لأنه عازب وهم ذو عيال فيطلب منهم الحل الأول وهو الإنصاف وتقسيم الفرنك ثلاثا.

ونجد قد عاسر الرئيس معاسرة شديدة تتمثل في عدم قبوله زيادة عنصر رابع لحل المشكلة وتقسيم الفرنك على اربعة وقد لان بعد ذلك بعد سماعه لقصيدة نضمها الرئيس بليغة المعاني للتأثير في الأداء وخاصة ابن العابد فانتهت مشكلة العضو.

ج- الجنـان:

وهو الأستاذ عبد الحفيظ الجنان. وقد وجدناه يظهر في المسرحية مـسالما ملاينـا إلا في مواقف الجد، وهو يقوم بسياسة اللعب على الحبلين ولو في موقف واحد، سـاعيا إلى الإصـلاح كلما تفاقم خلاف، ميالا للسرعة والحزم . كما وجدنا شخصية الجنان مصلحة حينمـا ينـشب الخلاف .

د- بوشمـ ـ ـ ـال:

وهو الأستاذ أحمد بوشمال العضو الجديد والشخصية الثانوية التي لم تـرد إلا في الفـصل الثالث من المسرحية "فلم تحدد انطلاق الشخصية هذه حتى برزالخلاف . فقد دعى الرئيس بوشمال للحضور في الجلسة (الفصل الثالث) فكشف الرئيس عن الحقيقة ، وهي أن الجماعة وافقوا على " بوشمال " ليتقاسم معهم ثمن الفرنك.

هـ - مسرحيـة الخنسـاء

كتب ' محمد الصالح رمضان ' مسرحية (الخنساء) وهي المسرحية الثانية بعـد (الناشـئة المهاجرة) ، مثلت في تلمسان سنة 1950 و مدن أخرى بالجزائر وأذيعت بإذاعة بالجزائر و بإذاعة باريس ، موضوعها حول شخصية تاريخية من التاريخ العربي الإسلامي، وقد وصـفها الكاتـب ((مسرحية تاريخية أدبية في مدى تأثير التربية الإسلامية على النفس البشرية))[1] مسرحية مدرسية ألفها الكاتب ليقوم التلاميذ بأداء أدوارها و لأهمية هذه الأعمال يقول : "كنا في المدارس الحرة في العهد الاستعمـ ـاري الفرنسي كثيرا ما نلجأ إلى إقـ ـ ـامة حفلات للترفيه و التوعية للتلاميذ و أوليـ ـائهم ،ومن يهمهم الأمر ،أو لسد عجز مالي تعاني منه ميزانية مدارسنا ،لأن معلمي هذه المدارس لمدة لم يكونوا موظفين رسميين لدى السلطات الحاكمة ، يتقاضون مرتبات قارة ومحترمة،

(1) – محمد الصالح رمضان – الخنساء – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – ص : 03

لذلك كان المشرفون على هذه المدارس يضطرون إلى تنظيم حفلات في موسم من المواسم ، أو في أواخر السنة الدراسية...وفي هذه الحفلات أنشطة ثقافية يتمرن فيها التلاميذ على إلقـاء الخطب و القصائد و التمرن على الحوار، و النقاش و أنشاد الأناشيد و التدريب علـى التمثيـل المسرحي" [1].

أما عن مسرحية الخنساء ((فقد كنت قد وضعتها في أواخر الأربعينات لتلاميـذ القـسم التكميلي بمدرسة دار الحديث بتلمسان ، و مثلها طلاب و طالبات هذه المدرسة التي تتوفر علـى

مسرح صغير في قاعة المحضرات ،مثلت ثلاث مرات في أسبوع واحد مـرتين للرجـال و مـرة للنساء،ونالت إقبالا و استحسانا بالغين)) [2].

إن الأفكار الدينية لعبت دورا فعالا و بارزا في نشر الوعي و انتشال المجتمع الجزائري من مخالب السياسة الاستعمارية لذا سعى رجال الإصلاح على نشر هذا الوعي في الأوساط الشعبية و المؤسسات التعليمية و التي تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

إن معظم النصوص المسرحية المأخوذة من التاريخ الإسلامي ضاعت و لم يبق لها أثر لعدم اهتمـام أصحابها بالتوثيق و الطبع ، و لقد حفظ لنا التاريخ مسرحيات حول المولد النبـوي الـشريف و هجرته الشريفة ، وبعض الصحابة رضوان الله عليهم. وجاءت مسرحية (الخنساء) ل(محمد الصالح رمضان) في ثلاث فصول مستوحاة من التاريخ العربي وتدور أحداثها حول (الخنساء) ، الشخصية العربية المخضرمة، فالفصل الأول منها يبين (الخنساء في الجاهلية) وهي في سوق عكاظ تتبارى مع الشعراء في قرض الشعر. أما الفصل الثاني (الخنساء في الإسلام) ، في بيت عائشة أم المـؤمنين وفي مصلى الخليفة (عمر بن الخطاب) بمكة ، أما الفصل الثالث فيتحدث عـن (الخنـساء) وهـي في القادسية ومشاركتها في الفتوحات الإسلامية.

تبدأ المسرحية بحوادث جرت في الجاهلية، وأبرزها بكاء (الخنساء) على أخويها (صـخر) و(معاوية) وقد عمد الكاتب إلى تسجيل كثير من شعر الخنساء في رثائها لأخويها.

---

(1) - نفسه – ص 9
(2) - نفسه – ص 10

يا عين فيضي بدمع منك مغزار	وابكي لصخر بفيض منك مدرار
فقد سمعت ولم أبج به خبرا	محدثا قام ينمــي رجع أخبــار[1]

ويلي البيت عشرات من الأبيات ضمن الفصل الأول الذي يشمل على أشعار لكوكبة من شعراء الجاهلية وهم (النابغة الذبياني)و (الأعشى)و (حسان بن ثابت)و (تأبط شرا) (هند بنت عتبة بــن ربيعة) وقد ذكر المؤلف أشعارا في الرثاء لهؤلاء ، ولعل ذلك ليبرز قوة شعر (الخنساء) ومكانتــها بين قومها في الجاهلية.

أما أحداث الفصل الثاني فتدور حول حزن (الخنساء) حتى بعد إســلامها فقــد حــاولوا جاهدين ردها عن الحداد الذي تعمقت فيه ، وبكائها ولكنهم فشلوا. فأخذوها إلى دار (عائشة) أم المؤمنين علها تقنعها ، وي (الخنساء) قصتها وتثني عن أخيها (صخر) الذي يحبها ويجود عليهــا من ماله فتدفعها (عائشة) للمزيد في قرض الشعر.

عائشة : اسمعيني ما شئت فإن شعرك يعجبني ، (الخنساء) تسمعها من شعرها .

أعينــــي جيدا ولا تجمــدا	ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجميل	ألا تبكيــــان الفتى السيدا
رفيع العمــاد طويل النجــاد	ســاد عشيــــرته أمردا
إذا القوم مدوا بــأيديــــهم	إلى الـ مد إليــه يــدا
فنال الذي فوق أيديهـــــــم	من الـ ثم مضى مصعدا
تحمــه للقوم ما علاهم	وإن كان أصغرهم مولدا
جموع الضيوف إلى بيته	يرى أفضل الكسب أن يحمدا
وإن ذكر الـ ألفيــة	تأزر بالمــجد ثم ارتــــدى
غياث العشيرة إن أملحوا	يهين التــــلاد ويحي الجدا [2]

---

(1) - المصدر السابق – ص 17

(2) المصدر نفسه – ص : 17

وتصل (عائشة) رضي الله عنها في النهاية إلى وعظها وهدايتها وإعادتها إلى رشدها في فقرة مطولة. فتقول لها (عائشة) :

((هذا أمر الله يا آمة الله، ولا راد لقضائه فاصبري يا خنساء وأن تتقي الله ، اعلمي أنك لست وحدك المصابة في هذه الدنيا، ما رأيك فيمن فقدت سيد العالمين صلى الله عليه وسلم؟ ... كمـا فقدت أباها ، صديقه وصاحبه إذ هما في الغار، ورفيقه في الهجرة ، وخليفته الأول بعد وفاته فأين أنت من كل هذا ؟...)) [1].

وتعود ' الخنساء ' إلى بكائها ونحيبها حتى في حضرة الخليفة (عمر بن الخطاب) ويحاول أن يرشدها ويعوضها بقوله :

عمر : كفكفي من دمعك وخفيفي من حزنك يغفر الله لك .

فترد عليه (الخنساء) باكية، فيقول لها عمر :

عمر : اتقي الله يا خالة واعلمي من تبكين هلكوا في الجاهلية فعلام هذا النحيب والبكـاء الدائمين هم اليوم حطب جهنم ؟

والخنساء ما زالت تبكي ، وقالت :

الخنساء : ذلك أطول لحزني عليهم وأدوم لبكائي يا (عمر) فلئن كنت أبكي لهما من الثأر فأنا اليوم ابكي لهما من النار (وتبكي....ثم تبكي....).

والنص كله يغلب عليه الحزن ، والهدف منه هو إبراز مأساة ' الخنساء ' وحسرتا والتعرض إلى حياتا في الجاهلية والإسلام ، والمتتبع للنص يكتشف أن المؤلف يروي الأحـداث التاريخيـة ويربطها بحزن الخنساء ، ويقدم قصائد من ديوان الشعر العربي في الجاهلية والإسلام، وهو يرمـى إلى خدمة الناشئة وتعليمهم الشعر العربي ، أكثر من خدمة الفن المسرحي في مستـ ـواه الأعلى

---

(1) - المصدر السابق – ص 56-57

وذلك بذكر فحول الشعراء ، والمسرحية في مجملها نص أدبي تعرض إلى أخبار الشعراء والخلفاء ضمن حياة الشاعرة العربية (الخنساء) التي أفنت حياتا بكاء وحزنا.

و - مسرحية يوغورطة

كتب 'عبد الرحمان ماضوي' مسرحية "يوغورطة" سنة 1952 كما جاء ذلك في رسالته إلى (عبد المالك مرتاض) والتي يقول فيها : ((إشارة إلى رسالتكم عن تاريخ كتابة يوغورطة، يسرني أن أخبركم أنني انتهيت من كتابتها سنة 1952))[1].

وعبد الرحمان (ماضوي) كما يصفه (محمد مصايف) كان (عصاميا في كل شيء ، في حرية العيش، وفي الأفكار التي يعبر عنها في الاستعمال اللغوي) [2].

قام بتقديم المسرحية (عبد الله شريط) وأكد أن المسرحية هي ((قصة للأمير النوميدي (يوغورطة) الذي سعى لاسترجاع عرش أجداده وسعى لتوحيد وطنه بعد ما قسمته روما وتدخلت في أموره إثر موت مسينيسا)) [3].

وقصة يوغورطة تاريخيا تبين : أنه تولى العرش بعد وفاة ابن عمه (مسيبسا) بعد أن أبعد الوريثين الشرعيين (هيا مبسال) و (آذر بعل) فقتل الأول وهرب الثاني إلى روما يطالب نجدتا لاسترجاع ملكه من (يوغورطة) ، و هكذا بدأت الحرب بين (يوغورطة) و الرومان ، ولم يهادنا إلا بعد أن اجتمعت كل الورى ضده ففر هاربا إلى صهره في (موريطانيا) طالبا للنصرة والاحتماء، ولكن صهره قيده و سلمه مكبلا إلى روما [4].

تمتاز مسرحية (يوغورطة) بالأحداث الكثيرة و المتشعبة و بالمواقف المتنوعة التي تبرز شخصية البطل (يوغورطة) كقائد مغوار واجه الظلم و الطغيان بكل قوة و إيمان.

---

1 - عبد المالك مرتاض – فنون النثر الأدبي في الجزائر – 1931 – 1954 – ص 213
2 - أنظر محمد مصايف- فصول في النقد الأدبي الجزائري– الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – ص 97
3 - عبد الرحمان ماضوي – يوغورطة – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1984 – ص 3
4 - أنظر أحمد صقر – مدنية المغرب العربي – ص 276

فهي تراجيديا تاريخية في خمسة فصول كتبها "عبد الرحمن ماضـوي" و تعـالج المقاومـة النوميدية ضد الإحـتلال الرومـــاني ،و شجـــاعة يوغورطـة في التـصدي للغـزاة الرومـانيـن، و تدور أحداثها حول الأمير (يوغورطة) و شجاعته لمحاربة الرومان بعد قرار روما تقسيم إفريقيا بين الرجلين "يوغرطة" و"أذربعل" يحاول الأمير "يوغورطة" جمع قواه ويرسـل صديقه "مازيغ" مرة أخرى إلى أوراس لإقناع فراكسين بمساعدته ضد الإمبراطورية الرومانية وعقد "يوغورطة" تحالفات لتكوين جيش قوي، والتصدي للرومان والثأر لأجداده باسترجاع العرش من الإمبراطورية الرومانية، لكن "فراكسين" قام بجمع رجال أوراس في غرفة بأحد الأديـرة واتـهم يوغرطة بالتهور والمغامرة، ويجر الأمة الى الخراب و الحرب الخاسرة: أن يعيش الـشعب في هنـاء وعافية ولو في ولايات مقسمة. ويدعو 'فراكسي' الجميع لتوقيع الصلح مع روما ويوقـع عليهـا الجميع وهناك مؤامرات وخيانات داخل جيش يوغورطة والشيء الذي زاد الطينة بلة الحملة الـتي شنها أخوه عليه وتحريض الشعب للوقوف ضد مشروع الحرب ، فاستسلم يوغورطة للأمر الواقع ودفعته الأسباب للقبول بتوقيع وثيقة صلح بإنهاء الحرب مع الإمبراطورية الرومانية ، وكذلك عند اللجوء إلى صهره (بوكوس) فوجد الخيانة من طرفه فاعتقله القائد الروماني ، فقال يوغورطة (أبلغ قومك أن أطربوا وامرحوا . عما قريب سيكون لأفريقيا يوغورطة آخر لأن أفريقيا لا يأفل لها نجم في مشرقها إلا ويبزغ لها نجم في مغربا) .

الفكرة الرئيسية للمسرحية : تاهيل الفرد والبيئة قبل القيام باية مقاومة .

1/ يثأر كل فرد أغتصب في حقه وملكه

2/ يسترد بالقوة ما أخذ بالقوة

3/ سعى لمعرفة ذهنية الناس قبل الإختباء في أحضانم.

مسرحية يوغورطة لعبد الرحمان ماضوي وهي مأساة في خمسة فصول يتـضمن الفـصل الأول ستة مشاهد ، تجرى كلها داخل القصر الملكي بقرطاج وذلك في سنة 113 قبـل المـيلاد ، يجتمع الملك (يوغرطة) بقيادة جيوشه ومن خلال الحوار الذي جرى بينهم نتعرف على شخـصية يوغورطة وأحوال المملكة النمودية بعد وفاة الملك (ماسينيسا) الذي كان حليفا للرومان وتربطـه بم معاهدة هدنة.

ولنستمع إلى الحوار الذي يصف فيه أعضاء مجلس الشيوخ "يوغورطة" المكافح المـسالم : الكهل: يوغرطة....هو قطب الروح، إنه حاذق جدا ، وله نفوذ عظـيم في الأهـالي ، و أراه لا ينوي غض الطرف عما توسعنا في أفريقيا (يهز كتفيه) . إفريقيا جديرة بأن يـضحي في سـبيلها بجيش أو جيشين.

الشيخ (1): (بشدة) كفانا من الحروب

الشيخ (2): يوغرطة ملك صالح

الكهل: يسعى لتوحيد إفريقيا

الشيخ (3): وليكن ذلك......فأي بأس فيه

الكهل: (بشدة) وحدة إفريقيا خطر على روما .

الشيخ: إن لفظة روما قد صارت اللفظة الكريهة التي تثير غضب بركان الشعوب ،فاليتيم يتهم روما بيتمه ،و الثكلى كذلك و الأرملة أيضا و التاجر و الفلاح و الشيخ و العجوز إلى غير ذلك ، كلهم عليهـ ـا ساخطـ ـون...ليس يوغرطة بخطر على رومـ ـا ، إلا إذا أرغمت إن يكـ ـون كذلك ، يدافع عن الحق ، تعتبرونـ ـه خطـ ـرا علـ ـيكم ، فهـ ـل الحـ ـق خطر،علـ ـى رومـ ـ ـ ـ ـ ـا؟؟ أو صارت هي خطر عليه؟؟(1)

سياسة روما التوسعية الاستعمارية ، كانت محل رفض قاطع من طرف يوغورطة الذي أبى إلا أن يواجهها و يعلن الحرب عليها ،و هكذا يختار يوغورطة الحرب ويجري حوار بينه و بـ ـين زوجـ ـه (رنيدة) .

يوغرطة : ...كلا ...لن تدنس أرضنا...لن نكون عبيدا ...وإن أريد منا الحرب فللحرب نحـ ـن مستعدون.

رنيدة: الحرب ؟؟

يوغورطة : (بقوة) أجل الحرب ...لنصرة الحق ، ما حسدنا روما لجاهها.

رنيدة : الحرب ضد روما؟؟

(1) المسرحية – ص :18

يوغورطة : أجل...ضد روما الغاشمة العاتية العابثة في الأرض فسادا وروما...رومـا و جيوشـها وأسطولها وسلاحها وقادتا ، روما لا بد أن تخر ساجدة للحق.

ريندة : يوغورطة ...وسعادتنا وأولادنا وشبابنا .

يوغورطة : فتاة إفريقيا تبكين ...سادتك و أولادك وشبابك وإفريقيا على حافة القبر ؟؟

رنيدة : روما قوية.

يوغورطة : الحق أقوى.

أما الفصل الثاني يشتمل على ستة مشاهد فتجري أحداثه في دير من الأديرة حيث يلتقي هنالـك الكهنة و الشيوخ ويتحاورون حول أحوال قرطـ ـ ـ ـاج ، بعد انزام "يوغورطة" في حروبه مع الرومـ ـ ـان ، و غضب الشعب لسياسة "يوغورطة" و يطالبون بالهدنة و السلم مع روما ، كما كان في عهد "ماسينيسا" .

ويتجلى هذا الاتجاه في مجمع للكهنة و الشيوخ موقفهم من "يوغورطة" ، فكان حوارهم :

أول : ((أيها السادة حقا أننا في حالة حرجة، لا بد أن نخرج منها و إلا كان فيها حتفنـا ،و إن النكبات منذ دخلت هذه الحروب توافينا الواحدة تلوى الأخرى حتى لا مناص لنـا اليـوم مـن الاستسلام لقد أمددنا (يوغورطة) بكل ما كان في وسعنا ... بغير حجة فلا حرج اليوم أن ننقض بدورنا هذا العهد.

ثان : نعم لقد خدعنا (يوغورطة) ما كنا ندخل هذه الحروب لولا أنه طمس الحقيقة علينا.

ثالث : عرفت من أول يوم أن مآلنا الخراب.إن اتبعنا (يوغورطة)... تحرقه للجاه و البأس يغويـه ويضله.

رابع : حقا لقد كان بنا عمى حينما قلدناه زمام أمورنا)) [2].

(1) السابق:ص 20

(2) المصدر نفسه: ص 28

أما الفصل الثالث الذي يشتمل على مشاهد تجري أحداثها في غرفة القيادة حيث يلتقـي (يوغورطة) مع ضباط جيشه للنظر في حركة التمرد داخل الجيش و الخيانة العظمى.

يوغورطة (ينظر) أترمي الجنود بالفشل و الخوف و هم في جميع وثباتم أسود فتاكة ويزداد (يوغرطة) غيضا و خنقا من رجاله الذين يدفعونه إلى ترك السلاح و عقد الهدنة مع الرومان .

يوغورطة : (بوجه عابس) أمة منكودة الحظ ، خاصتها ساستها وروادها مضللوها ، فكيف السير لدفع الضيم عنها ، كأنا تموت بنفسها على نفسها ؟ ما العمل؟....ما العمل في رأيكم؟

بومليكار: رأينا قد أبديناه لك غير ما مرة....فما أردت الإنصات إليه.

يوغورطة : (ينظر إليه بتعجب) نعم وضع السلاح؟

بومليكار : نعم ....وضع السلاح(1)

وبعد هذا الحوار ينتهي الفصل الثالث بنهيار (يوغورطة) انيارا تاما .

يوغورطة : لست أدري ما حل بي ، فكأنما الدنيا تدور بي (دعوني وحدي.....دعوني).

ويحتوي الفصل الرابع على أربعة عشر مشهدا ، تجرى أحداثها في مكان بعيدا عـن القـصر، حيث يجتمع (يوغورطة) ب (رنيدة) زوجته ، التي تتألم لآلامه ، و هي العزاء الوحيد بالنـسبة له.

يوغورطة : بملل وضجر (نعم....نعم....لا تزيدي في قلقي أنت أيضا....رضـيت بوضـع السلاح و بعد ؟ أليس من الواجب على القائد أن يحافظ على جنوده ما استطاع ؟ أم تريدين أن أزهق أرواحهم دون فائدة؟)

وهكذا يتهادى البطل لا تحت ضربات سيوف الرومان و قوتم و لكن تحت خيانة ودسائس قومه ورجاله فكانت الطعنة الموجعة التي لم يحسب لها (يوغورطة) و تدخلها عالم العبودية والذل الذي طالما حاربه و ثار عليه بكل قوة و شجاعة ، أما الفصل الخامس فيضم ثمانية مشاهد تجري أحداثها في موريطانيا داخل قصر الملك (بوكوس) صهر (يوغورطة) والد

(1)– مسرحية يوغورطة – ص 33

(رنيدة) حين يستطيع بعض القادة إيهام الملك الموريطاني (بوكوس) بأن ابنته تسعى لخلعه عن العرش فيقرر الملك (بوكوس) القضاء على ابنته وتسليم (يوغورطة) بعـد أسـره إلى رومـا فيدعوهما إلى زيارة موريطانيا .

بوكوس : سأبطش بـا ....سألقي بـا في جب ملئ بالأفاعي ...سأشنقها و أصلبها تكون عبرة لمن يعتبر.تريد قتلي أنا ...أنا (بوكوس) ملك موريطانيا العظيم أبوها .

ويحكم الملك على ابنته بالموت ،إلا أنا تحاول الحفاظ على حياة زوجها (يوغورطة) بكل مـا أوتيت من قوة و نايته بعد شرب السم انتحرت أمام (يوغورطة) لتؤكد حبها له و أنا بريئـة من الخيانة .

أمام (يوغورطة) لتؤكد حبها له و أنا بريئة من الخيانة .

رنيدة وهي تنظر إليه نظرة حادة : أصرت ترتاب حتى في أنا ؟

ويدور الحوار بينهما في المسرحية إلى أن يقول لها.

رنيدة : قتلتني ، قل لي....لم أخدعك؟....أما أمكن أن يخطر ببالك كان لك أن ترتاب فيمن شئت إلا في أنا...أو يرتاب (يوغرطة) في رنيدة؟ أو يرتاب في أفريقيا؟ كلا لم يكن لـك أن ترتاب في و قد جعلت حياتي حياتك فانظر اترى ابنة (بوكوس) تفعل هذا (وتأخذ الكـأس وتتجرع ما فيها ثم تلقيها بعيدا متوجعة).

وينتهي الفصل الأخير بخطبة مطولة يلقيها (يوغورطة) على مسمع القوم، وفيها يعلن استسلامه و هزيمته ، و لكن إيمانه وطنه جعله يؤكد أن لإفريقيا رجالا أشداء في البطش والقوة.

إن هذه الأفكار الواردة في مسرحية (يوغورطة) أفكار أرادها المؤلف أن تكون النور الذي ينير درب الشعب الجزائري خاصة في بداية الخمسينات. حيث كثرت الخيانات بين الزعمـاء والقادة خاصة الأحزاب.

من موضوع (يوغورطة) وطني يدعو إلى البذل والعطاء من أجل تحريـر الـوطن و هـو موضوع كل الأعمال المسرحية التي سبقت ثورة أول نوفمبر (1954). وهذا ما جعل (عبـد الرحمان ماضوي) يختار شخصيات من التاريخ القديم لإعطاء المثل والنمـوذج في الجهـاد و الكفاح و التضحية و مقاومة العدو .

ك :مسرحية امرأة الأب

مسرحية امرأة الأب لأحمد بن ذياب * مسرحية اجتماعية ذات أربعة فصول كتبها الكتـاب سنة 1952 ، يرى الدكتور أبو القاسم سعد الله (أن هذه المسرحية كان بطلها الكاب نفـسه في بطولاته وشبابه)[1] .

وقد كتب ابن ذياب رسالة نفى فيها ما ذهب إليه الدكتور سعد الله قائلا ((لقـد ادعـى الأخ والدكتور سعد الله بأن امرأة الأب شخصية وهذا غلط لأن لي أمي وأبي كبير ولي إخـوة ثلاثـة أمهم واحدة، أبوهم واحد، ولم تغادرنا هذه الأم)[2] كما كتب هذه المسرحية ومثلت لأول مـرة في الشرق الجزائري، مع نفي الكاتب القاطع أن يكون بطل هذه المسرحية ، وقد استوحى بعـض وقائع هذه المسرحية من تجـ ـاربه العائلية، مما يرفع في أدبه و يسمو بعلمه ، و بصدق عاطفته . تدور أحداث المسرحية في ضواحي مدينة الجزائر ، وحول حياة أفراد أسرة طيبة مهذبة تكاد تكون مثالية في سلوكها وعملها وتفكيرها وإيمانا.

حاول الكتاب من خلال معالجة ظاهرة اجتماعية قديمة جديدة ، وهي زواج الأب بعـد وفاة زوجته ، وما يحدث من مفارقات اجتماعية في الأسرة وقد سجلت كتب التاريخ ما يـدور حول هذا الموضوع منذ القدم من أحداث وأساطير[1] في هذه المسرحية تظهر المعاناة التي يحملـها الأبناء من طرف زوجة الأب، لكن في النهاية ينصر الحق على الباطل.

---

* أحمد بن ذياب : ولد سنة 1914 بالقنطرة ولاية بسكرة تلقى مبادئ العلم بطولقة ثم عاد بمسقط رأسه بالقنطرة تعرف على عبد الله ابن الشيخ وهو عالم عظيم في الحديث و التفسير و الفقه الإسلامي مما استفاد الكاتب من توجيهاته السديدة ، رحل إلى قسنطينة حيث تلقى العلم على يـد الشيخ ابن باديس ثم التحق بجامع الزيتونة وبعد أن نال شهادته شغل مناصب مختلفة، أهم مؤلفاته المسرحية (امرأة الأب)

(1) مجلة الثقافة العدد 55 ص : 31

(2) المرجع نفسه - ص 34

استطاع الكاتب أن يصوغ هذه الأحداث الاجتماعية المأساوية في قالـب مـسرحي تتعاطف حقا عند إطلاعك على فصول المسرحية ، كما حاول الأديب توظيف كثيرا من التقنيات المسرحية كالمنولوج والحوار.

ملخص المسرحية:

نشاهد في الفصل الأول امرأة طيبة مضطجعة على سرير الموت (باية) ، مـن أثـر المرض الذي أصبحت الحياة معه مستحيلة، وهي تحاور زوجها وبعض أبنائها ملحة على الـزوج الزواج مرة ثانية، لكن أن لا يتم هذا الزواج الثاني على فراشها لغيرتا عليـه ، حيـة أو ميتـة، فالزوجة (باية) تشعر بقرب أجلها فتوصي زوجهـا بثلاث وصايا تراها غاليـة كثيـرا: أولهـا أن لا يزوج (وردة) ابنتها إلا باستشارتا، وثانيها يهيئ الأسباب المناسبة ليكمل أبنهما 'محمود' دراسته ويعلم أبناء الشعب العلم ، وثالثهما أن لا يسمح للزوجة الجديدة أن تنـام علـى فراشها، لكن الزوج يرفض ولا يريد أن تكلمه زوجته على الموت ولا عن الزواج ، ويأتي في هذا الفصل أيضا (محمود) الابن الأكبر لزيارة عائلته وتحاول الأم التظاهر بعدم المرض أمام ابنـها ، مرض الأم يتزايد، وشعر بإرهاق كبير فتلفظ آخر أنفاسهما لتودع هذا العالم مخلفة وراءها أربعـة أولاد ، ثلاثة بنين و بنت واحدة ، هي "وردة" يتأثر الزوج والأبناء ، ويحزنون حزنا عميقا علـى فراقها لأنا كانت الأم و الصدر الحنون الذي لا يعوضه أحد مهما كان.

أما الفصل الثاني فتجري أحداثه في المقهى حيث يلتقي "زروق" الزوج بأصـدقائه "عبـد اليد وخالد" وجيرانة ويفاتحونه موضوع الزواج الذي تنفر نفسه منه نفورا شديدا ، فيرفض تلك

الفكرة، لكن في نهاية المطاف يجد نفسه أمام الأمر الواقع بضرورة إحضار امرأة تقوم علـى بيتـه وابنائه، ويجري الحوار في دار "زروق" بين أطفاله الثلاثة والجارة التي تمهد لزواج الأب من امـرأة مطلقة ، وهي أم لستة أطفال هذا التمهيد الذي جعل البنت 'وردة' تجد نفسها متقبلة كـل آراء العجوز (اليامنة) وحول ضرورة زواج أبيها لما تبثه في ذهنهما من أفكار مـن أجـل الاهتمـام بدروسها و المحافظة على جمالها، لكن ما هذا إلا تخطيط لزواج أبيها، أما الفصل الثالـث فنـرى تسلط و قساوة زوجة الأب "جميلة" حيث تظهر الزوجة مرحة، فرحة تغني وعند سماعها لـصوت "القزانة" تطلب منها قراءة كفها وتدخلها إلى بيتها، فلا تبخل عليها في التكرم بالمال الذي تركه لها "زروق" ثم تتهم سمير الولد الصغير بسرقتها وعندما تدافع أخته 'وردة' عنه، تضربا ضربا مؤلما وتشتمها، فيدخل الأب 'زروق' لتخبره 'جميلة' فيكذبا لأنه يعرف طبع أبنائه لكنها تـصر علـى ذلك زاعمة أنه يجهل سيرة أبنائه أو أنه يعرف ذلك ولكنه متحيز لهم، فتحول "جميلة" هذه الأسرة إلى جحيم لا يطاق.

وفي الفصل الرابع يبرز 'محمود'(الابن) الأكبر لأخوته الثلاثة الذي كان قد انتهى دراسته بتـونس وعاد، يحاول "محمود" أن يحقق في أمر هذه المرأة الشريرة الماكرة ، لكن لا يصدق في بداية كـلام أخوته وحديثهم عنها ، فيكاد ينخدع بأمرها وكلامها المعسول فسرعان مـا يكتـشف أمرهـا وسعيها لتدمير هذه الأسرة والقضاء عليها، وذلك من خلال التعجيل بزواج "السعيد" (الربيـب) الإبن الثاني متهمة أباه بسوء السيرة لتتخلص منه وتبعده عن المـنزل ، وكذلك تزوج "وردة" بشيخ عجوز لتتخلص منها أيضا، مع أن أمها كانت قد أوصت أباها أن لا يزوجها إلا بمـن ترضـاه ، وسعت الزوجة "جميلة" إلى كتابة ملكية الدار باسمها وإلا ستقتل زوجها بالسم ، إلا أن 'محمـود'

اكتشف أمرها ، فيدخل الابن "محمود" دون أن تشعر، به "جميلة" ،فيجدها تحمل مسدسا تريـد اطلاق النار على زوجها ، فيضرب ' محمود' يدها من الخلف ويسقط المسدس، فيريد الأب قتلها، فينهاه "محمود" من تدنيس شرفه بدمها القذر، ويطلق الأب "جميلة" ويطردها من م له.

وبطرد امرأة الأب اللئيمة تعود السعادة من جديد إلى البيت ، ومن خلال هـذه النظـرة الموجزة على أركـ ـ ـان المسرحية نجد أن الكاتب (أحمد بن ذياب) قد اجتهد في تصوير هـذه الأسرة، ورسم المأساة التي حلت عليها برحيل الأم، كما وقف في وصف العلاقة السيئة بين امرأة الأب و ربائبها وزوجها.

يمكن القول أن كلا من الفصلين الأولى والثاني كان تمهيدا لهذه المشاكل الاجتماعية حيث درس الكاتب مسألة مصرية هي قضية الموت ، أي قضية القدر الإنساني المحتوم الذي لا ينجو منه أحد على الأرض ، من خلال الحوار الذي دار بين الزوج و الزوجة المستسلمة و المقتنعة بالقضاء والقدر، مقبلة على هذا الموت بالصبر، بالرغم مما تركت من أبناء لا يعرفون مصير حيـاتم مـن بعدها.

أما الفصلان الثالث و الرابع : فقد عالج الكاتب قضية اجتماعية حقا هي قضية العلاقة بين الربائب وزوجات الآبـ ـ ـ ـاء، وقد عالج "أحمد ذيـ ـ ـاب" من خلال مسرحيته موضوعا اجتماعيا ربطه بالاستعار الفرنسي خاصة أن المسرحية كتبت قبل ثورة نوفمبر1954م.

إن هذه القضية تبين ما يعانيه الأبناء من تسلط امرأة الأب ، ويمكن أن تطبق على الشعب الجزائري بعامة و ما عانه من الاستعمار في تلك الفترة ، رغم أن الإستعمار الفرنسي كان أكثـر

قساوة من امرأة الأب التي تسعى دائما لفرض سيطرتا على أبناء الزوج سيطرة تـشبه سـيطرة الاستعمار على الشعب الجزائري، لكن دائما ينتصر الخير على الشر، و تنصر الحرية على العبودية،

و يتجلـى هذا الإنتصار في نـ ـاية المسرحية حيث انتصر الأبنـ ـاء و تخلصـ ـ ـوا من امرأة الأب ومن ظلمها و قساوتا .

و الكاتب في مسرحية استشهد كثيرا من المواقف بآيات من القرآن الكريم ، حسب مقتضى الحال، كما تضمن ذلك في الحوار بين الزوج و الزوجة حيث طلب الـزوج إحـضار الطبيـب لزوجته (باية) .

الزوج: لكن الله يقول : ((ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)) (1) وإنما هو((الله الذي خلقكم مـن ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد ضعفا وشيبة، يختلق ما شـاء وهـو العلـيم القدير)) (2) .

كذلك قوله تعالى: ((فاطر السموات والأرض وأنت ولي في الدنيا و الآخرة، توفني مسلما ألحقني بالصالحين)) . (3)

---

(1) _ سورة البقرة – الآية 195

(2) _ سورة الروم –الآية 54

(3) _ سورة يوسف – الآية101

من هذه الاستشهادات تبين لنا أن الكاتب اعتمد على التراث الديني، ذلـك أن القـرآن الكريم أحد المصادر الأساسية الموظفة في هذه المسرحية ، و الجدير بالذكر أن الكاتـب لجـأ إلى التراث الأدبي فوظف أبياتا شعرية مختلفة ، من ذلك ما جاء أثناء حديث العجوز (اليامنـة) مـع الطفلة "وردة" حينما وصفها بأنا جميلة ولا بد أن تحافظ على جمالها ، وهذا لا يكون إلا إذا تزوج أباها كي تبقى هي بعيدة على أعمال الم ل التي تؤثر على حياتا ، وهذا طبعا لمصلحة العجوز.
وهنا أورد الكاتب قول الشاعر أحمد شوقي :

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

وهناك بيت آخر في موضع آخر، حينما ينفي الأب ما قالته زوجته في سرقة أبنائه لها فتجيب فيما قاله الشاعر عمرو بن كلثوم :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا و ستأتيك بالأخبار ما لم تزود

فقد استلهم الكاتب من مختلف المصادر الدينية والتاريخية والأدبيـة و وظفهـا في عملـه المسرحي التي بلغ با غايات مختلفة ، هذا و قد استند المؤلف "أحمد بن ذياب " في المـسرحيته إلى بعض الأمثال والحكم مثل قول الزوجة مخاطبة زوجها (ضعف يأتي من أتعاب الحياة وتكاليفهـا، فهذا لا يداوى إلا بالصبر حتى يلقي الإنسان ربه راضيا مرضيا أو مغضوبا عليه ....)[1] .
أيضا في مخاطبة الأم لأبنتها مشجعة (تشجعي يا ابنتي و اعلمي أن البنـت في الحيـاة تحتـاج إلى سندين، سند من الأخلاق الشريفة و سند من الخبرة بالم ل و العلم)(3).

- - - - - - - - - - -

(1) المسرحية ص :4

(2) المصدر نفسه – ص : 7

(3) *المصدرنفسه – ص : 61*

الخـــاتمـــــة

لعل ما يمكن تسجيله في هذه الدراسة هو أن المسرح كان وسيلة من الوسائل التى أعتمد عليها المصلحون في الجزائر لتوعية الشعب وتيئته للثورة العارمة وتبقى فكرة المسسرح والإصلاح وما مدى تحقيق ذلك من النتائج المرجوة وقد توصلنا إلى نتائج عديدة منها.

- إعطاء الحركة المسرحية في الجزائر الأهمية البالغة كفن أدبي لعب دوره الإصلاحي في التمع إبان فترة التحضير للثورة الكبرى.

- توضيح فكرة الإصلاح ضمن الحركات الفكرية و الثقافية و السياسية، و ما للإصـلاح من أهمية في كل الحركات التي ظهرت في الجزائر خلال النصف الأول مـن القـرن العـشرين الميلادي.

- المسرح و الإصلاح عند عدد من الزعماء السياسيين و المثقفين و الأدباء و أعلام الفكر في الجزائر. و العلاقة التي جمعت بين الأدب و الفن و الإصلاح و تبليغ الرسالة للأوساط الـشعبية العريضة.

- دراسة عدد من الأعمال المسرحية ذات الطابع الإصلاحي و التي إتجهت إتجاه الإصلاح والوعظ و الإرشاد. و دور هذا الإصلاح للناشئة و التلاميذ بالدرجة الأولى، و ذلك لتكوين جيل

مثقف و مسئول و مدرك لما يسعى إليه الإستعمار الفرنسي لطي الهوية الوطنية و القـضاء علـى الشخصية الجزائرية.

المصادر والمراجع

المصادر :

_ القرآن الكريم رواية ورش

المسرحيات:

_ أحمد بن ذياب – امرأة الأدب- دار الشهاب للطباعة والنشر – باتنة - الجزائر

_ البشير الإبراهيمي – رواية الثلاث.

_ عبد الرحمن ماضوي – بوغورطة.

_ محمد الصالح رمضان – الخنساء.

- الناشئة المهاجرة

– محمد العيد أل خيفة – بلال بن رباح

المراجع العامة:

_ ابن منضور – لسان العرب – مطبعة صادر - بيروت.

_ أبو القاسم سعد الله – الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930) - ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر –

_ أحمد بن نعمان ـ التعريب بين المبدإ والتطبيق ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر .

ىىتىا_ أحمد توفيق المدني – حياة كفاح- المنظمة الإسلامية ـ القسم الثاني ـ الجزائر.

_ أحمد صقر - مدينة المغرب العربي – المطبعة الجديدة - تونس

_ البشير الإبراهيمي – آثارالبشير الإبراهيمي.

_ البشير الإبراهيمي – سجل مؤتمرالجمعية – المطبعة الإسلامية الجزائرية - قسنطينة.

_ البشير الإبراهيمي – عيون البصائر المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر-.

_ بوعلام رمضاني – المسرح الجزائري بين الماضي والحاضر المؤسسة الوطنية للكتاب

_ جبور عبد النور – المعجم الأدبي-

_ تركي رابح ـ التعليم اللغوي والشخصية الوطنية ـ الدار التونسية للطباعة ـ تونس

_ صالح خرفي – الشعر الجزائري الحديث – المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر-

_ صالح لمباركية – المسرح في الجزائر الجزء (1) دار الهدى – عين مليلة- الجزائر.

_ صالح لمباركية – المسرح في الجزائر الجزء (2) دار الهدى – عين مليلة- الجزائر.

_ عباس فرحات ـ ليل الإستعمار ـ

_ عبد الله الركيبي - تطور النثر الجزائري الحديث – 1830-1974 - المنظمة العربية للتربية والثقافة ـ 1976 – مصر-

_ عبد المالك مرتاض – من فنون النثر الأدبي - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر.

_ محمد بن بوبكر الرازي – مختار الصحاح – دار الهدى- عين مليلة - الجزائر.

_ محمد خير الدين ـ تاريخ الجزائر الحديث ـ ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر ـ 1989

- محمد الطمار- تاريخ الأدب الجزائري- ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر.

_ محمد علي دبوز ـ نهضة الجزائر وثورتنا المباركة ـ المطبعة العربية ـ الجزائر

ـ محمد لخضر حسين ـ الدعوة إلى الإسلام ـ المطبعة التعاونية ـ لبنان ـ 1973

- محمد مصايف – فصول النقد الأدبي الجزائـري الـشركة الوطنيـة للنـشر والتوزيـع الجزائر

- محمود قاسم – الأمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لثورة التحريـر الجزائريـة – مطبعة بولاق – مصر-

المراجع الأجنبية :

MAHIEDDINE bachtarzi _ **mimoire 1919_1939** SNED alger _ 1968

الدوريات:

- البصائر – ع : (19) جوان 193 البصائر – ع : (2) أوت 1947

- البصائر – ع : (77) أفريل 1949

- البصائر – ع : (27) ماي 1954

- الثقافة – ع : (87) جوان 1985

- الشهاب – ع : (147) ماي 192830-29الشهاب – ع : (152) جوان 1928

- الشهاب – ع : (11) ديسمبر 1930

- الشهاب – ع : (6) جوان 1931

- الشهاب – ع : (5) ماي 1934

- الشهاب – ع : (9) أوت 1934

- الشهاب – ع : (11) فيفري 1936

- الشهاب – ع : (6) سبتمبر 1936

الرسائل الجامعية:

- نصر الدين صابيات – اتجاه المسرح العربي في الجزائر من 1945- 1980 - ماجستير (مخطوط) جامعة دمشق – 1983-

فهرس الموضوعات